التوبة

ودموع التائبين

د. فتحي بن عيد صالح الزغم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التوبة
ودموع التائبين

كتبه

أبو أنس فتحي بن عيد صالح الزِّغم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إن الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء:١]

أما بعد

فإن خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ. فالتوبة هي غاية كمال كل آدمي، وإنَّما كان كمالُ أبيهم بها، فكم بين حالة وقد قيل له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ [سورة طه:١١٨-١١٩]، وبين قوله:﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٢]، فالحالُ الأَوَّلُ حالُ أكلٍ وشربٍ وتمتُّعٍ، والحالُ الأخرىٰ حالُ اجتباءٍ واصطفاءٍ وهدايةٍ، فيا بُعْدَ ما بينهما. ولمّا كان كمالُهُ بالتَّوبَةِ كانَ كمالُ بنيهِ أيضًا بها، كما قال تعالىٰ:﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَّحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب:٧٣]،فكمالُ الآدميِّ في هذه الدَّارِ بالتَّوبَةِ النَّصُوحِ، وفي الآخرَةِ بالنَّجاةِ منَ النَّارِ ودخولِ الجنَّةِ، وهذا الكمالُ مُرتَّبٌ علىٰ كمالهِ الأوَّل. وهي واجبة علىٰ جميع العباد؛ إذ إن العباد غير معصومين من الزلل والعصيان، ولكن الكارثة التي استشرت عند المسلمين اليوم هي الإصرار علىٰ المعاصي وترك باب التوبة دون أوبة.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله: "فَإِنَّ حَقِيقَةَ التَّوْبَةِ الرُّجُوعُ إِلَىٰ اللهِ بِالْتِزَامِ فَعْلِ مَا يُحِبُّ، وَتَرْكِ مَا يَكْرَهُ، فَهِيَ رُجُوعٌ مِنْ مَكْرُوهٍ إِلَىٰ مَحْبُوبٍ، فَالرُّجُوعُ إِلَىٰ الْمَحْبُوبِ جُزْءُ مُسَمَّاهَا، وَالرُّجُوعُ عَنِ الْمَكْرُوهِ الْجُزْءُ الْآخَرُ، وَلِهَذَا عَلَّقَ سُبْحَانَهُ الْفَلَاحَ الْمُطْلَقَ عَلَىٰ فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ بِهَا، فَقَالَ:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور:٣١]، فَكُلُّ تَائِبٍ مُفْلِحٌ، وَلَا يَكُونُ مُفْلِحًا إِلَّا مَنْ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ وَتَرَكَ مَا نُهِيَ عَنْهُ، وَقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة الحجرات:١١]، وَتَارِكُ الْمَأْمُورِ ظَالِمٌ، كَمَا أَنَّ فَاعِلَ الْمَحْظُورِ ظَالِمٌ، وَزَوَالُ اسْمِ الظُّلْمِ عَنْهُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّوْبَةِ الْجَامِعَةِ لِلْأَمْرَيْنِ، فَالنَّاسُ قِسْمَانِ: تَائِبٌ وَظَالِمٌ لَيْسَ إِلَّا، فَالتَّائِبُونَ هُمُ﴿ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة:١١٢]، فَحِفْظُ حُدُودِ اللهِ جُزْءُ التَّوْبَةِ، وَالتَّوْبَةُ هِيَ مَجْمُوعُ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ تَائِبًا لِرُجُوعِهِ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ مِنْ نَهْيِهِ، وَإِلَىٰ طَاعَتِهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتَّوْبَةُ هِيَ حَقِيقَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالدِّينُ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي مُسَمَّىٰ التَّوْبَةِ وَبِهَذَا اسْتَحَقَّ التَّائِبُ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَإِنَّمَا يُحِبُّ اللهُ مَنْ فَعَلَ مَا أَمَرَ بِهِ، وَتَرَكَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ،،.وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ قَدْرَ التَّوْبَةِ وَلَا حَقِيقَتَهَا، فَضْلًا عَنِ الْقِيَامِ بِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا وَحَالًا، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعَالَىٰ مَحَبَّتَهُ لِلتَّوَّابِينَ إِلَّا وَهُمْ خَوَاصُّ الْخَلْقِ لَدَيْهِ[1].

ولما للتوبة من أهمية وأنها من الإسلام بمكان؛ استعنت بالله ـ عز وجل ـ في نقل كلام العلماء في التوبة وبيان تعريفها وفضلها وفوائدها والأسباب المانعة منها، وكذلك ذكر قصص التوبة عن الأمم السابقة وعند أصحاب النبي ﷺ وبيان خصائص توبتهم، وقصص توبة التابعين والصالحين ـ رحمهم الله ـ وذكر آيات التوبة وكذلك أغلب الأحاديث التي ذكرت في التوبة،وبعض قصص التوبة للمعاصرين.

أسأل الله أن ينفعني بهذه الجزءوسائر المسلمين وأن يجعلهلي زادًا بعد الرحيل، وأصلي وأسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ أله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو أنس فتحي بن عيد صالح الزِّغم

يوم الثلاثاء الموافق ١١رجب عام١٤٤٢هـ.

---

(١) مدارج السالكين ١/٣١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التوبة

التَّوْبةُ هي: الرُّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ. والتَّوْبُ مثلُه. وَقَالَ الأَخفش: التَّوْبُ جَمْعُ تَوْبةٍ مِثْلُ عَزْمةٍ وعَزْمٍ. وتابَ إِلَىٰ اللهِ يَتُوبُ تَوْبًا وتَوْبةً ومَتابًا: أَنابَ ورَجَعَ عَنِ المَعْصيةِ إِلَىٰ الطاعةِ. ورَجل تَوَّابٌ: تائِبٌ إِلَىٰ اللهِ.

واللهُ تَوّابٌ: يَتُوبُ علَىٰ عَبْدِه. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [سورة غافر:٣] يَجُوزُ أَن يَكُونَ عَنَىٰ بِهِ المَصْدَرَ كالقَول، وأَن يَكُونَ جَمْعَ تَوْبةٍ كَلَوْزةٍ ولَوْزٍ، أَصلُ تابَ عادَ إِلَىٰ اللهِ ورَجَعَ وأَنابَ. وتابَ اللهُ عَلَيْهِ أَي عادَ عَلَيْهِ بالمَغْفِرة. وقوله تعالىٰ: وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيعًا. أَي عُودُوا إِلَىٰ طَاعتِه وأَنيبُوا إِلَيْهِ. واللهُ التوَّابُ: يَتُوبُ عَلَىٰ عَبْدِه بفَضْله إِذَا تابَ إليهِ مِنْ ذَنْبه. واسْتَتَبْتُ فُلانًا: عَرَضْتُ عليهِ التَّوْبَةَ مِمَّا اقْتَرَف أَي الرُّجُوعَ والنَّدَمَ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ. واسْتَتابه: سأَلَه أَن يَتُوبَ[1].

للتوبة في الشرع تعاريف كثيرة منها:

١ - "إنابته إلىٰ طاعته وأوبته إلىٰ ما يرضيه، بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيمًا مما يكرهه ربه"[2].

٢- "هي الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم علىٰ ألا يعود إلىٰ

---

(١) لسان العرب ١/٢٣٣.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١/٢٨٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله"[١].

٣- "التوبة ترك الذنب لقبحه، والندم علىٰ ما فرط منه، والعزيمة علىٰ ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة "[٢].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/٩١).

(٢) المفردات (٧٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفرق بين التوبة والاستغفار والإنابة والأوبة

الاستغفار

الاستغفار من طلب الغفران والغفران تغطية الذنب بالعفو عنه وهو أيضاً طلب ذلك بالمقال والفعال(١).

الإنابة

هي:" إخراج القلب من ظلمات الشبهات".

وقيل: الإنابة الرجوع من الغفلة إلىٰ الذكر، ومن الوحشة إلىٰ الأُنْس".

وقيل هي:" الرجوع عن كل شيء إلىٰ الله تعالىٰ"(٢).

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الإنابة هي:" الإسراع إلىٰ مرضاة الله، مع الرجوع إليه في كل وقت، وإخلاص العمل له"(٣).

الأوبة

قال الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله: "والأواب كالتواب وهو الراجع إلىٰ الله تعالىٰ بترك المعاصي وفعل الطاعات"(٤).

---

(١) نضرة النعيم (٢/٢٥٢).

(٢) الكليات (٣٠٨).

(٣) مدارج السالكين (١/٤٦٧) بتصرف.

(٤)المفردات في غريب القرآن ١/٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقفة مع اسم الله التواب

التَّوَّابُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عَبادِهِ حالًا بَعْدَ حالٍ، فَمَا مِنْ عَبْدٍ عَصَاهُ وبَلَغَ عصيانهُ مَدَاهُ ثُمَّ رَغِب فِي التَّوْبَةِ إليهِ إلَّا فَتَحَ لَهُ أبْوَابَ رحمَتِهِ، وفَرِحَ بعودَتِه وتَوْبَتِهِ، مَا لَمْ تُغَرْغِرِ النفسُ أو تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَمِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَي رضي الله عنه مَرْفُوعًا: "إن الله عَزَّ وَجَل يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسيءُ اللَّيْلِ حَتي تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَال: "إِنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْد مَا لَمْ يُغَرغِرْ"، ولو أَنَّ إنسَانًا اتَّبع هَوَاهُ أَوِ استَجَابَ لشيطانِهِ، وتَمادَىٰ في جُرْمِهِ وَعِصْيَانِهِ، فَقَتَلَ مِائَةَ نَفَسٍ، وارْتَكَبَ كُلَّ إثْمٍ، وأرادَ التَّوْبَةَ والغُفْرَانَ تابَ عليهِ التَّوَّابُ، وبدَّلَ لهُ عَدَدَ مَا فَاتَ مِنَ السَّيِّئَاتِ بِنَفْسِ أعدَادِهَا حَسَنَاتٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان:٧٠]

وَيَذْكُرُ ابْنُ الْقَيِّم أنَّ تَوْبَةَ العَبْدِ إلىٰ رَبِّهِ مَحْفُوفَةٌ بِتَوْبَةٍ مِنَ الله عَلَيْهِ قَبْلَهَا وَتَوْبَةٍ مِنْهُ بَعْدَهَا، فَتَوْبَتُهُ بَيْنَ تَوْبَتَيْنِ مِنَ الله: سَابِقَةٍ وَلاَحِقَةٍ، فَإِنَّهُ تَابَ عَلَيْهِ أَوَّلًا إِذْنًا وَتَوْفِيقًا وَإِلْهَامًا، فَتَابَ العَبْدُ فَتَابَ الله عَلَيْهِ ثَانِيًا قَبُولاً وَإِثَابَةً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة التوبة:١١٨]، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ تَوْبَتَهُ عَلَيْهِم سَبَقَتْ تَوْبَتَهُمْ، وَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي جعلَتْهُم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَائِبِينَ، فَكَانَتْ سَبَبًا وَمُقْتَضًىٰ لِتَوْبَتِهِم، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ مَا تَابُوا حَتَّىٰ تَابَ الله عَلَيْهِمْ، وَالحُكْمُ يَنْتَفِي لِانْتِفَاءِ عِلَّتِهِ، فَالعَبْدُ تَوَّابٌ، فَتَوْبَةُ العَبْدِ رُجُوعُهُ إِلَىٰ سَيِّدِهِ بَعْدَ الإِبَاقِ، وَتَوْبَةُ الله نَوْعَانِ: إِذْنٌ وَتَوْفِيقٌ، وَقَبُولٌ وَإِمْدَادٌ[1].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ:

وكَـــذَلِكَ التَّـــوَّابُ مِـــنْ أَوْصَـــافِهِ ... وَالتَّـــوْبُ فِـــي أَوْصَـــافِهِ نَوْعَـــانِ

إِذْنٌ بِتَوْبَـــةِ عَبْـــدِهِ وَقَبُولُهَـــا ... بَعْـــدَ المَتَـــابِ بِمِنَّـــةِ المَنَّـــانِ

قَالَ أَبُو حَامِدٍ: "التَّوَّابُ هُوَ الذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ تَيْسِيرُ أَسْبَابِ التَّوْبَةِ لِعِبَادِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرىٰ بِمَا يُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ، وَيَسُوقُ إِلَيْهِمْ مِنْ تَنْبِيهَاتِهِ، وَيُطْلِعُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَخْوِيفَاتِهِ وَتَحْذِيرَاتِهِ، حَتَّىٰ إِذَا اطَّلَعُوا بِتَعْرِيفِهِ عَلَىٰ غَوَائِلِ الذُّنُوبِ اسْتَشْعَرُوا الخَوْفَ بِتَخْوِيفِهِ فَرَجَعُوا إِلَىٰ التَّوْبَةِ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ"[2].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣١٢).

(٢) المقصد الأسنى (١٣٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شروط التوبة

التوبة لها شروط لا بدّ من توافرها حتىٰ تقبل من العبد، وبيان هذه الشروط فيما يأتي:

الإخلاص لله تعالى: يجب أن تكون النيّة لله -تعالىٰ- وحده حُبًا فيه وطمعًا في نيل رضاه وثوابه، وعدم اتّخاذ مُعين، أو ناصر غير الله -سبحانه وتعالىٰ-، ولا تكون الغاية من التوبة إلّا التقرب من الله -تعالىٰ- وطاعته، وليس لغاية دنيويّة، قال تعالىٰ:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء:١٤٦][1].

فلا يسمىٰ تائبًا من ترك الذنوب لأنها تؤثر علىٰ جاهه وسمعته بين الناس، أو ربما طرد من وظيفته، ولا يسمىٰ تائبًا من ترك الذنوب لحفظ صحته وقوته، كمن ترك الزنا أو الفاحشة خشية الأمراض الفتاكة المعدية، أو أنها تضعف جسمه وذاكرته، ولا يسمىٰ تائبًا من ترك أخذ الرشوة لأنه خشي أن يكون معطيها من هيئة مكافحة الرشوة مثلاً، ولا يسمىٰ تائبًا من ترك شرب الخمر وتعاطي المخدرات لإفلاسه، وكذلك لا يسمىٰ تائبًا من عجز عن فعل معصية لأمر خارج عن إرادته، كالكاذب إذا أصيب بشلل أفقده النطق، أو الزاني إذا فقد القدرة علىٰ الوقاع، أو

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب ٤/ ٢٢٣-٢٢٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السارق إذا أصيب بحادث أفقده أطرافه.

الإقلاع عن الذنب: يترك العبد الذنب الذي ارتكبه ويبتعد عن كل أمر يُقرّبه منه، وذلك ليتخلّص العبد من الذنب كُلّيًا[١].

الندم على ارتكاب الذنب: يستشعر العبد عظمة الله -تعالىٰ- حال ارتكابه ذنبًا معيّنًا، كما هي الحال في كل وقت وحين. فيندم علىٰ ما تقدّم منه من تقصير واعتداءٍ علىٰ حقوق الله -سبحانه وتعالىٰ-، راجيًا من الله - تعالىٰ- رحمته ومغفرته بل لابد من الندم والإقلاع عن تمني المعصية أو التأسف علىٰ فواتها ولمثل هذا يقول الرسول ﷺ: " الندم توبة "[٢][٣].

العزم الجازم على هُجران الذنب: يجب أن يرافق التوبة من الذنب. عدم العودة إليه في المستقبل، وإصلاح ما بدر من العبد من تقصير. بالإكثار من الطاعات، والمحافظة علىٰ ترك المعاصي والمنكرات حتّىٰ الموت [٤].

ومما يعين علىٰ ذلك أيضا ترك مكان المعصية مصداقا لقول النَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: "كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أعْلَمِ أَهْلِ الأرضِ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ

---

(١) شرح الأربعين النووية:الشيخ عبدالمحسن العباد ٣٥/٥.

(٢) الصحيح الجامع (٦٠٨٢).

(٣) التوبة التوبة قبل الحسرات ص:١٤.

(٤) التوبة إلى الله ص:٢٣.بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَوبَةٍ؟ فقالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرضِ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ومَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وكَذَا، فإِنَّ بِهَا أُناسًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَىٰ فاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، ولَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أرضُ سُوءٍ، فانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وقالتْ مَلَائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ - أَيْ حَكَمًا - فقالَ: قِيسُوا ما بينَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أدنَىٰ فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا، فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ"(١).

إرجاع الحقوق إلى أصحابها: يجب إعادة كل حقّ إلىٰ صاحبه إذا كان الذنب متعلّقًا بحقّ من حقوق العباد. فالتوبة من ذنب فيه ظلم لآدمي لا تكون إلّا بإعادة الحقّ لصاحبه والتحلل منه، كما ثبت في الصحيح عن الرسول ﷺ قوله: "مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليَومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه"(٢)(٣).

لذا نبه النبي ﷺعلىٰ ضرورة التحلل من الذنوب المتعلقة بين الناس في الدنيا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) صحيح البخاري(٢٤٤٩).

(٣) المباحث العقدية المتعلقة بالكبائر ومرتكبها في الدنيا ص:١٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبيَّن أن الإفلاس الحقيقي هو:أن يأتي العبد يوم القيامة بطاعات وقد اقترنت بهذا النوع من الذنوب فقالﷺ:" أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَىٰ هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَىٰ ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ"[1].

في هذا الحديثِ النَّبِيَّ ﷺسألَ أصحابَهُ: أَتدْرونَ، أي: أَتعلَمونَ ما الْمُفلِسُ؟ فَأجابوا: الْمُفلِسُ فينا، أي: فِيما بَيننا مَن لا دِرهمَ له، أي: مَن لا يملكُ مالًا، ولا متاعًا، أي: مِمَّا يَحصُلُ به النَّقدُ ويُتمتَّعُ به مِنَ الأقمشةِ والجواهرِ والْمَواشي والعبيدِ، وأمثالِ ذلك، والحاصلُ: أَنَّهم أجابوا بما عندَهم مِنَ العِلمِ بِحسَبِ عُرْفِ أَهْلِ الدُّنْيا، كما يدلُّ عليه قولُهم: (فِينا)، وغَفلُوا عَنْ أمْرِ الآخرةِ، فقالﷺ: إنَّ الْمُفلِسَ مِن أُمَّتِي، أي: المفلسُ الحقيقيُّ، أوِ الْمُفْلِس في الآخرةِ، مَن يأتي يومَ القيامةِ بِصيامٍ وصلاةٍ وزكاةٍ، أي: مَقبولاتٍ، ويأتي أيضًا، أي: ويَحضُرُ وقد شَتمَ هذا، أي: وَقعَ له شَتْمٌ وسبٌّ لِأحدٍ، وقذَفَ هذا، أي: بِالزِّنا ونحوِه، وَأكلَ مالَ هذا، أي: بِالباطلِ، وسفَكَ دمَ هذا، أي: أَراقَ دمَه بِغيرِ حقٍّ، وضرَبَ هذا، أي: مِن غيرِ استحقاقٍ أو زيادةٍ علىٰ ما يَستحِقُّه، والمعنىٰ: مَن جمَعَ بَيْنَ تلك العِباداتِ وهذه السَّيِّئاتِ. فَيُعْطَىٰ هذا، أي: المظلومُ مِن حسناتِه، أي: يُعطىٰ المظلومُ بَعضَ

(١) صحيح مسلم (٢٥٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَسناتِ الظَّالِمِ، وهذا، أي: ويُعطَىٰ المظلومُ الآخَرُ بعضَ حَسناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حَسناتُه: أي نَفِدَتْ قَبْلَ أنَّ يُؤدِّيَ ما عليه مِنَ الحقوقِ، أَخَذَ الظالِمُ مِن خطاياهم، أي: مِن سيِّئاتِ أصحابِ الحقوقِ. فَطُرِحتْ علىٰ هذا الظالِمِ أو وُضعَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ، أي: أُلْقِيَ ورُمِيَ في النَّارِ، وفيه إشعارٌ بِأنَّه لا عَفوَ ولا شفاعةَ في حقوقِ العبادِ إلَّا أنْ يَشاءَ اللهُ، فَيُرضِي المظلومَ بِمَا أرادَ.

إدراك الوقت المخصوص لقبول التوبة: يجب أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من المغرب. أي قبل قيام الساعة. فما دام العبد في حياته الدنيا. فالتوبة متاحة له في أي وقت، كما قال النبي ﷺ:"إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا"(١).

وقال ﷺ:" إنَّ اللهَ يَقبَلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ"(٢).

أي: يقبَلُ مِن عبْدِه التَّوبةَ والرُّجوعَ إلىٰ الحقِّ، والاعترافَ بالذَّنْبِ والتَّبرُّؤَ منه طوالَ حَياتِه، ما دام واعيًا ولم يُدْرِكْه الموتُ، لا أنْ يكونَ في حالةِ الاحتضارِ، ففي هذه الحالةِ لا يقبَلُ اللهُ توبةً. وذلك أنَّ العبدَ يَرىٰ ملائكةَ ربِّه، ويتيقَّنُ أنَّه ميِّتٌ، ولا اختيارَ له في العودةِ. فإنَّ التَّوبةَ بعدَ التَّيقُّنِ بالموتِ لا يُعتَدُّ بها، فالمُعتبَرُ هو الإيمانُ بالغيبِ، والمُرادُ بالغرْغرةِ، أي: ما لم تبلُغْ رُوحُه حُلْقومَه، فيكونُ بمنزلةِ الشَّيءِ

(١) صحيح مسلم (٢٧٥٩).

(٢) صحيح سنن الترمذي (٣٥٣٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الَّذي يتغرغَرُ به المريضُ.

وكذلك يجب أن تكون التوبة قبل لحظة الموت، قال - تعالىٰ-: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء:١٨]"[1".

فساوىٰ الله عز وجل بين من يموت علىٰ الكفر، وبين من يتوب عند الموت في عدم قبول التوبة.

قال الحسن ـ رحمه الله: ابن آدم. لا يجتمع عليك حسرتان: سكرة الموت، وحسرة الفوت. أي: فوت التوبة.

وقال بعض السلف منهم عمر بن عبد العزيز في قوله تعالىٰ:﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة سبأ:٥٤].

قال: حيل بينهم وبين التوبة حين سألوها، فأكثر الناس يسوفون بالتوبة، ويؤجلونها إلىٰ الوقت الذي لا تقبل فيه فيتوبون عند حشرجة الموت، وهو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة.

---

(١) مجالس رمضان للشيخ أحمد فريد ٣/٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فضائل التوبة

فالتوبة إلىٰ الله تعالىٰ من أجَلِّ العبادات، وأعظم القُرُبات، ومن فضائلها:

حب الله ـ عز وجل ـ للتائبين: فالتائب إلىٰ الله ـ عز وجل ـ يحصل علىٰ محبة خاصة لا يكاد يحصل عليها غيره. لأنه يجمع فيها من الخوف والخشية والرجاء والطمع في رحمة الملك وهذه المقامات لا تجتمع إلا في التوبة. قال عزَّ وجل: { إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } (البقرة:٢٢٢).

فهنيئًا للتائبين محبَّةُ الله لهم؛ لأنَّ مَن أحبَّه الله لا يعذِّبه في الدنيا ولا في الآخرة.

مغفرة الذنوب ورحمة الله: التوبة سببٌ للمغفرة والرَّحمة وتبديلِ السيئات إلىٰ حسنات. قال تعالىٰ: { وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (الأعراف:١٥٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الفرقان:٦٨-٧٠].

نزول البركات من السماء: تعد التوبة سببًا في نزول البَرَكات من السماء وزيادة القوَّة. قال تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود:٥٢].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفوز بالجنة والزحزحة عن النار: كما أنَّ التوبة سبب للفلاح ودخول الجنَّة والنجاة من النار. قال تعالىٰ:﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [سورة النور:٣١].

قبول الأعمال والعفو عن السيئات: فالتوبةسبَب لقَبول أعمال العبد والعفوِ عن سيئاته. قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [سورة الشورىٰ:٢٥].

وقال الله ـ عز وجل ـ:﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة مريم:٥٩-٦٠]

صفة النبيين والمؤمنين: التّوبة من صفاتِ النبيّين عليهم الصلاة والسلام ومن صفات المؤمنين، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة التوبة:١١٧].

وقال تعالىٰ عن موسىٰ ﷺ: ﴿ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال تعالىٰ عن داود عليه السلام: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾ [سورة ص:١٧].

وقال عز وجل: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة التوبة:١١٢]

فرحُ الربِّ بها فرحًا شديداً: قال النبي ﷺ:" لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إِذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ"(١).

وفي رواية:" إنَّ المُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخافُ أنْ يَقَعَ عليه، وإنَّ الفاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبابٍ مَرَّ علَىٰ أنْفِهِ فقالَ به هَكَذا. قالَ أبو شِهابٍ: بيَدِهِ فَوْقَ أنْفِهِ ثُمَّ قالَ: لَلَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِن رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وبِهِ مَهْلَكَةٌ، ومعهُ راحِلَتُهُ، عليها طَعامُهُ وشَرابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنامَ نَوْمَةً، فاسْتَيْقَظَ وقدْ ذَهَبَتْ راحِلَتُهُ، حتَّىٰ إذا اشْتَدَّ عليه الحَرّ والعَطَشُ أوْ ما شاءَ اللهُ،قالَ: أرْجِعُ إلىٰ مَكانِي، فَرَجَعَ فَنامَ نَوْمَةً، ثُمَّ

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَفَعَ رَأْسَهُ،فإذا راحِلَتُهُ عِنْدَهُ"[١].

ففي الحديث النبي ﷺ قال: "لَلَّهُ" بلام التوكيدِ "أَفْرَحُ" بصِيغة التفضيل "بتوبةِ العبدِ" من مَعصِيَتِه "مِن رَجُلٍ نَزَل منزِلًا"، أي: مكانًا "وبه مَهْلَكَةٌ"، أي: مَظِنَّة الهلاك، وفي روايةٍ: "بِدَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ"، والدَّوِّيَّةُ: هي الأرضُ القَفْرُ والفَلَاةُ الخالِيَة، أي: البَرِّيَّةُ والصَّحْراء الَّتِي لا نباتَ فيها، "ومعه راحِلَتُه"، أي: ما يَركَبُه من الدَّوَابِّ "عليها طعامُه وشرابُه، فوَضَع رأسَه فنام نَوْمةً، فاستَيقظ وقدْ ذهبَتْ راحلتُه، حتَّىٰ اشتدَّ عليه الحرُّ والعَطَش أو ما شاء اللهُ" مِن أنواع البلاءِ الأُخرَىٰ "قال" لنَفسِه بعدَ مُحاولةِ البَحثِ عن الرَّاحلةِ: "أَرجِع إلىٰ مكاني" يعني: الَّذِي نام فيه. ينتظِر الموتَ "فرَجَع فنام نَوْمةً، ثُمَّ رفَع رأسَه، فإذا راحلتُه عندَه"، وفي روايةٍ: "فاللهُ أشدُّ فَرَحًا بتوبةِ العَبدِ المؤمنِ من هذا"، أي: مِن فَرَحِ هذا الرجلِ "بِرَاحِلَتِه وزادِه"، وفي روايةٍ أنَّه قال: "اللَّهُمَّ أنت عبدِي وأنا ربُّك، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ، فاللهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدِه من ذلك الرجل".

المتاع الحسن: يقول الله تعالىٰ:﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ [سورة هود:٣].

أَيْ وَآمُرُكُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ السَّالِفَةِ وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا

(١)صحيح البخاري(٦٣٠٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَسْتَقْبِلُونَهُ، وَأَنْ تَسْتَمِرُّوا عَلَىٰ ذَلِكَ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعًا حَسَنًا أَيْ فِي الدُّنْيَا إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّىٰ(١).

قال ابن عباس ﷺ: يتفضل عليكم بالرزق والسَّعَة.

وقال ابن قتيبة ـ رحمه الله: يُعمِّركم. وأصل الإمتاع: الإطالة، يقال: أمتع الله بك، ومتَّع الله بك، إمتاعًا ومتاعًا، والشيء الطويل: ماتع(٢).

دعاء الملائكة للتائبين: قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر:٧].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٦٣.

(٢) زاد المسير ٢/٣٥٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فوائد التوبة

للتوبة فوائد عديدة لا يدركها إلا من ذل وخضع لعزة الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وتاب وأناب إلىٰ خالقه ومن هذه الفوائد:

تحقيق رغبات التائب في الدنيا: التوبةمقتضية لنيل ما يرغب فيه الإنسان في حياته الدنيا، فهي سبب للتوسعة في الرزق، وللبرء من الأسقام، وللحصول علىٰ الأموال والأولاد، كما قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح: ١٠-١٤].

حصول السعادة: كذلك من فوائد التوبة أن التائبين قد نالوا حظهم، وأخذوا بعض ما يرغبون فيه، فوفقوا بعد ذلك للتوبة فكانوا سعداء بهذا؛ لأن العبرة بالخواتيم لا بالمبادئ.

قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:٩٧]، والنبي ﷺقال: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومـًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها"(١). وسيأتي تفصيل الحياة الطيبة والسعادة في الأسباب التي تعين علىٰ التوبة.

سبب للإحسان بقية عمر التائب: فالتوبة مقتضية للإحسان في بقية العمر، فإن كل إنسان يعلم أنه قد فرط في جنب الله في كثير مما مضىٰ من حياته، وهو محتاج إلىٰ أن يتدارك هذا العمر الذي ضيع أوله، فكثير منا ضيعوا ما مضىٰ من أعمارهم، فبقية العمر جديرة أن تحفظ.

عَنْ مُعَاذٍ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ لَهُ: "يَا مُعَاذُ، أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَتَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"(٢).

والإنسان محتاج إلىٰ أن يتبع سيئاته الماضية بما يكفرها من الحسنات، وأولئك الذين تابوا توبة نصوحًا هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات، بمعنىٰ أنه يوثقهم بأن يصرفوا الوقت الذي كانوا يصرفونه بالمعصية في الطاعة، فتكون تلك الحسنات بدلاً عن السيئات التي كانوا يعملونها فيما مضىٰ من أعمارهم.

إعانة التائب على الطاعة: كذلك من فوائد التوبة أنها تعين الإنسان علىٰ الطاعة، فكثير من الناس اليوم مقتنع بأن عليه أن يكون من العابدين الطائعين لله المبادرين إلىٰ جنة عرضها السماوات والأرض، ولكنه عاجز عن ذلك لا

(١) البخاري (٣٢٠٦)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) مسند أحمد (٢١٩٨٨).حديث حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يستطيعه، والذي حال بينه وبينه هي الذنوب، فهو مكبل بذنوبه، وهذه الذنوب قيد عظيم تحول بين الإنسان وبين الطاعة، فإذا تاب الإنسان منها كسر كبلاً، وإذا كسر كبله أسرع في الخطو، وإذا أتىٰ الله مشيـًا أتاه هرولة، ومن هنا فإن ما نشكوه من قسوة القلوب وتكاسل الجوارح عن الطاعات من علاجه التوبة والاستغفار.

ولهذا فالحسنات تنقسم إلىٰ قسمين: حسنات أصلية، وحسنات جزاء، والسيئات كذلك تنقسم إلىٰ قسمين: سيئات أصلية، وسيئات جزاء.

فالحسنات الأصلية هي: ما يقبل العبد به علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ طائعـًا يريد وجه الله والتقرب إليه.

وحسنات الجزاء هي:ما يوفقه الله له بعد ذلك من الطاعات، فيعمل العبد حسنة صغيرة جداً هي من أقل درجات شعب الإيمان، كأن يميط الأذىٰ عن الطريق، لكنه فعل ذلك مخلصـًا لله، فيوفقه الله لحجة مبرورة، أو يوفقه لجهاد في سبيل الله بالمال، أو يوفقه لشهود صلاة في المسجد قد كتب الله أن كل من شهدها في المسجد يغفر له، أو يوفقه لعمل صالح من الأعمال المستمرة التي تبقىٰ بعد الموت كالوقف، أو الولد الصالح الذي يدعو له، أو النفقة الجارية بسبب عمل يسير جداً كان قد عمله، كإماطة الأذىٰ عن الطريق أو نحوها، فالله سبحانه وتعالىٰ يجزي علىٰ الحسنات جزاءً مضاعفـًا أنواعـًا منوعة، ومنه جزاء دنيوي وجزاء أخروي، وأعظم الجزاء الدنيوي أن يوفق الإنسان للازدياد من الخير.

لذلك فالحسنات يتبع بعضها بعضـًا، فمن تجرأ علىٰ أن هزم الشيطان وهزم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نفسه فترك المعصية وبادر للطاعة فإن ذلك معين له للاستمرار علىٰ هذا الطريق، ومن كانت عقده منكوثة كلما عقد العزم علىٰ الاستمرار علىٰ الطاعة والهداية وجد هذا العزم منتكثًا رجع أدراجه فهو متصف بصفة من صفات المنافقين: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [سورة النساء:١٤٣].

اقتضاء التوبة حسن الخلق مع الناس: كذلك فإن من فوائد هذه التوبة أنها مقتضية من الإنسان حسن الخلق حتىٰ مع الناس، فالتائب منكسر، والمنكسر نادم علىٰ ما مضىٰ، ومغير لبعض سلوكه وتصرفاته، وهذا التغيير مقتضٍ لتغيير حاله؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ [سورة الرعد:١١]، فيغير الله حاله بتوبته.

تثبيت الإيمان: التوبة لها فوائد كثيرة جداً يحتاج إليها ابن آدم، وأعظم هذه الفوائد أنها تثبيت للإيمان؛ لأن الإنسان الذي يجاهر الله بالمعصية ثم لا يتوب بعد ذلك عرضة لأن يختم له بخاتمة السوء، ولهذا فمن أصر علىٰ الذنب إلىٰ وقت الموت فقد عمل بعمل أهل النار، ومن عمل بعمل أهل النار فهو ميسر لها.

قال الله ـ عز وجل:﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [سورة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النساء:١٧-١٨].

عَنْ عِمْرَانَ بن حصين ﷺقَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فِيمَا يَعْمَلُ العَامِلُونَ؟ قَالَ: "كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ"(١).

التوبة سبب للانكسار بين يدي الله: كذلك من فوائد هذه التوبة أنها مقتضية للانكسار والأدب بين يدي الله، فالمؤمن محتاج إلىٰ حسن معاملة الله ـ سبحانه وتعالىٰ، أن يعامل الله معاملة صحيحة، ولا يتم ذلك إلا بالتوبة؛ لأنها مفتاح باب المعاملة، فمن لم يدخل من هذا الباب لا يمكن أن يوفق للشكر -مثلاً- ولا للصبر ولا لتحقيق الخوف والرجاء، بل لا يتم هذا إلا من طريق الباب الذي هو التوبة؛ لأنه بمثابة الطهارة للصلاة، فالصلاة أعظم ما فيها السجود بين يدي الله، والقراءة في حال القيام، لكنها ما لم يتنظف الإنسان قبلها ويتطهر لغو ومردودة علىٰ صاحبها.

فكذلك هذه الأعمال إذا لم تسبقها هذه التوبة التي هي طهارتها، فالتوبة طهارة القلب، كما أن الوضوء طهارة الجوارح، إذا لم تسبقها هذه التوبة فهي مثل الصلاة الباطلة التي لم يسبقها وضوء.

اقتضاء التوبة تقصير الأمل: كذلك من فوائد هذه التوبة أنها مقتضية من الإنسان تقصير الأمل، والإقبال علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بوجل؛ لأن التائب

(١) البخاري (٧٥٥١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يريد أن يختم له بالحسنىٰ، فيتذكر أن كل وقت بالإمكان أن يكون خاتمته، وكل ساعة تنتهي فيها آجال عدد كبير من الناس، ويأتي فيها الموت فجأة لكثير من الناس، وليس لدىٰ كل واحد ضمان من الله أن لا يأتيه الموت في ساعته هذه قال ـ عز وجل ـ: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} (لقمان:٣٤).

ومن هنا فكل ساعة تمر علينا من المحتمل أن تكون خاتمة بعضنا، فمما يعين علىٰ تذكر هذا وتقصير الأمل أن يكون الإنسان من التوابين، ولهذا افتتح الله سبحانه وتعالىٰ وصف عباده المرضيين بذكر هذه التوبة، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التوبة:١١٢][1].

(١) دروس الشيخ محمد الحسن الشنقيطي.درس (٢١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسباب تعين على التوبة

أولًا: استِشعار خطورة الذُّنوب، وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخِرة

قدَّر الله -تعالىٰ- أن يكون كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين من يُبادر للتوبة، فالذنوب والمعاصي قد تؤدي إلىٰ زوال النعم والكثير من العقوبات التي تنقسم إلىٰ عقوبات شرعية، وعقوبات قدرية، وتكون هذه العقوبات في القلب أو في البدن أو فيهما معًا، ومنها ما يكون بعد الموت أو يوم المحشر، فلا يمكن أن تُترك الذنوب دون محاسبة، وقد يظن الناس ذلك لجهلهم، يقول النبي ﷺ: "إنَّ الرجلَ ليُحرَمُ الرزقَ بالذنبِ يصيبُهُ، ولا يردُّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلا البرُّ"(١).

ومن صور هذه الأضرار:

الحرمان من نور العلم: الحرمان من نور العلم الذي يُعدّ من صور النعيم المُعجّل للعباد في الدُنيا، فاكتساب العبد للذنوب يؤدي به إلىٰ الظلام في البصيرة، فعندما أُعجب الإمام مالك بذكاء تلميذه الإمام الشافعي - رحمهما الله- قال له: (إني أرىٰ أن الله قد ألقىٰ علىٰ قلبك نورا فلا تطفئه بظلمة المعصية).

قال الشافعي ـ رحمه الله:

شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي

(١) سنن ابن ماجة(٤٠٢٢)،وابن حبان في صحيحه(٨٧٢).قال الحاكم في مستدركه: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١٨١٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشعور بالوحشة في القلب: الشعور بالوحشة في القلب، وتبدأ الوحشة بين العبد وربه، ثمَّ تنتقل لعلاقة العبد المُذنب مع العباد، حتىٰ يشعر بها أقرب الناس إليه، فلا يجد في نفسه الانتفاع من مجالس الصالحين، وإنَّما يرغب بحضور مجالس السوء، فتغدو حياته مريرة؛ لأنَّه كلما ابتعد عن الله زادت هذه الوحشة والظُلمة في قلبه، وكلما اقترب زاد أُنسه بالله تعالىٰ.

قال الله:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٤].

والمقصود: أن الله سبحانه أخبر أن من أعرض عن ذكره- وهو الهدىٰ الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقىٰ- فإن له معيشة ضنكا. وتكفل لمن حفظ عهده أن يحييه حياة طيبة، ويجزيه أجره في الآخرة. فقال تعالىٰ:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:٩٧].

فأخبر سبحانه عن فلاح من تمسك بعهده علما وعملا في العاجلة بالحياة الطيبة وفي الآخرة بأحسن الجزاء. وهذا بعكس من له المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ ونسيانه في العذاب بالآخرة([٢]).

---

(١) الجواب الكافي ص:٥٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم:ابن القيم، ص:٣٧٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض السلف: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف لأن الإيمان مع العمل الصالح يوجب للإنسان الانشراح والطمأنينة ويكون في قلبه نور ويكون راضيًا بقضاء الله وقدره في المكاره والمحاب فلا يوجد أحدٌ أنعم منه

الحرمان من الرزق: فالذنوب والمعاصيمِن أعظم أسباب منع الرزق ومحق بركته، وما أهلَك اللهُ مَن قبلنا من الأمم إلا بسبب المعاصي، ومنها الظلم الذي كان سببًا في حرمان بني إسرائيل من كثير من الأرزاق والخيرات؛ قال تعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٠-١٦١].

والمعنىٰ فبسبب ظلم عظيم شنيع وقع من أولئك اليهود حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، ولو أنهم لم يقعوا في هذا الظلم الشديد لما حرم الله عليهم هذه الطيبات التي هم في حاجة إليها.

وفي الآيةتعليل لبعض العقوبات التي نزلت بهم بسبب ظلمهم وبغيهم، ومن ضروب هذا الظلم والبغي ما سجله الله عليهم قبل ذلك من نقض للمواثيق، ومن كفر بآيات الله.

وما سجله عليهم - أيضا - بعد ذلك من صد عن سبيل الله، ومن أخذ للربا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد نهاهم عن آخذه[١].

فإذا قال القائل: إنهم اليوم في عيش رغيد مع إقامتهم علىٰ المعصية.

قيل: إن ذلك استدراجٌ.

قال النبيﷺ: "إذا رأيتَ اللهَ يُعطِي العبدَ مِن الدنيا علىٰ معاصيه ما يحبُّ، فإنما هو استدراجٌ"، ثم تلا ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [سورة الأنعام:٤٤][٢].

وبيَّن ﷺ كيف أن الذنب يمنعُ الرزق، فقال: "إنَّ الرجلَ ليُحرَمُ الرزقَ بالذنبِ يصيبُهُ، ولا يردُّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلا البرُّ"[٣].

وقال عبد الله بن عباسرضي الله عنه: "إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسَعةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبة في قلوب الناس، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووَهَنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبُغضًا في قلوب الناس"(٤).

إذا كنتَ في نِعمةٍ فارْعَها ... فإن المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ

وداوِمْ عليها بشكرِ الإلهِ ... فإن الإلهَ سريعُ النقمْ

وسافِرْ بقلبِك بين الورىٰ ... لتُبصِرَ آثارَ مَن قد ظَلَمْ

---

(١) التفسير الوسيط ٣/٣٨٥.

(٢) أحمد(١٧٣٤٩) والطبراني في الكبير(٩١٣).قال السيوطي في كتب السنة٣/١٧١: قال العراقي: إسناده حسن.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) الجواب الكافي ص:٥٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن شؤم المعصية قد يتعدَّىٰ غير العاصي، فيرجع وبالُ معصيته في حرمان الرزق عليه وعلىٰ غيره أيضًا، فقد قالت زينب بنت جحش أم المؤمنين لرسول الله ﷺ: "أَنهلِكُ وفينا الصالحون؟"، قال: "نعم، إذا كثر الخبث"(١).

يقول ابن الجوزيِّ رحمه الله في كتاب "ذم الهوىٰ": "متىٰ رأيتَ - وفّقك الله - تكديرًا في حال، فتذكّر ذنبًا قد وقع، فقد قال الفضيل بن عياض: "إني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خُلُق دابَّتي وجاريتي". وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي مَنْ صَفَىٰ صُفِيَ لَهُ وَمَنْ كَدَرَ كُدِرَ عَلَيْهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي ليله كوفئ فِي نَهَارِهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي نَهَاره كوفئ فِي لَيْلِهِ".

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ انَقْطَعَ شِسْعُ نَعْلِهِ فِي عدوه إِلَىٰ الْجُمُعَة فَقَالَ إِنَّمَا انْقَطَعَ لأَنِّي لَمْ أَغْتَسِلْ لِلْجُمُعَةِ(٢).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ

---

(١)صحيح البخاري(٧١٣٥).

(٢) ذم الهوى ص:١٨٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ "(١)

بين النبي ﷺأنالتلاعب بالمكيال والميزان، الذي توعّد الله فاعله بالويل والهلاك، قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [سورة المطففين: ١-٣].

فإذا انتشر ذلك في الأمة، فإنها تعاقب بعقوبات ثلاث:

أولها: منع المطر أو ندرته فتصاب الأرض بالقحط، وإذا أنبتت الأرض فإن الله يبتليهم بالحشرات والديدان والأوبئة التي تهلك الزروع والثمار.

ثانيها: شدة المؤونة، ويكون ذلك بغلاء المعيشة وارتفاع الأسعار وضيق العيش.

ثالثها: أن يسلط الله عليهم الحاكم الذي يجور عليهم، ويفرض الضرائب الباهظة، ويكلفهم من الأشياء ما لا قدرة لهم عليه.

و يشير النبي ﷺإلىٰ أن منع الزكاة وعدم إخراجها أو التحايل علىٰ ذلك، تكون عقوبته العاجلة هي منع القطر عنهم، ولولا وجود البهائم ما نزل عليهم المطر من السماء؛ لأنهم لا يستحقونه، لكونهم لم يُخرجوا حق الفقراء في مالهم.

وهذا يوضح سبب الجدب الذي ضرب أطنابه في الأرض، رغم أن الناس

---

(١)سنن ابن ماجة(٤٠١٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يستسقون ويستغيثون الله عز وجل ويطلبون منه المطر، وما ذاك إلا لأن الناس صاروا يتهاونون في إخراج زكاة أموالهم، وحينما يبخل الناس بالزكاة فإن الله تعالىٰ يمنع عنهم المطر، الذي هو وسيلة لحياتهم، ولولا رحمة الله عز وجل بالبهائم ما أُمطِرت الأرض أبداً.

الحرمان من فعل الطاعة: لأنَّ الطاعة لا تحصل للعبد إلا بتوفيق من الله تعالىٰ، فعندما يختار العبد طريق المعاصي والذنوب فإنَّه يضعف في نفسه الإقبال علىٰ الطاعات، والمبادرة للتوبة بعد اقتراف السيئات.

قال الله ـ عز وجل: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٦].

يعني: هؤلاء المنافقين لو أرادوا أن يخرجوا معك، لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً من الزاد والماء والظهر، لأن سفرهم بعيد، فترْكهم العدة دليل علىٰ إرادتهم التخلف، والمعنىٰ: أنهم كانوا مياسير قادرين علىٰ أخذ العدة لو أرادوا الخروج،وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انطلاقهم وخروجهم معك. ولكن ثبطهم الله والتثبيط: ردك الإنسان عن الشيء يفعله، قال ابن عباس: فخذلهم وكسلهم عن الخروج. {وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}.قال مقاتل: وحيا إلىٰ قلوبهم، يعني: أن الله ألهمهم أسباب الخذلان وأوحىٰ إلىٰ قلوبهم أن اقعدوا مع القاعدين، ويجوز أن يكون بعضهم قال ذلك

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لبعض[١].

يُروىٰ أن رجلاً جاء للحسن البصري في مسألة، فقال أنَّه يتجهز لقيام الليل ولا يقوم، فردَّ عليه الحسن البصري قائلاً: (ذنوبك قيّدتك).

قال سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: (لا تفوت أحدًا صلاة الجماعة إلا بذنب).

نزول النقم: يقول ابن القيم: (ومن تأثير المعاصي في الأرض: ما يحل بها من الخسف والزلازل، ويمحق بركتها، وكثير من هذه الآفات أحدثها الله -تعالىٰ- بما أحدث العباد من الذنوب). فعاقبة اقتراف الذنوب وخيمة بالدنيا والآخرة، فالمذنب إن لم يُعجّل بالتوبة في الدنيا، فهو في الضنك والضيق في الدنيا، وفي العذاب المقيم في الآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم:٤١].

عن ابن عباس ﷺقال النبيﷺ:" إذا ظهرَ الزِّنا و الرِّبا في قَريةٍ، فقد أَحَلُّوا بأنفسِهم عذابَ اللهِ"[٢].

المعاصِي والذُّنوبُ والفواحِشُ أصلُ كُلِّ بليَّةٍوشرٍّ في الدنيا والآخِرةِ، وهي

(١) التفسير الوسيط للواحدي ٥٠١/٢.

(٢) أخرجه الطبراني (١٧٩/١) (٤٦٢)، والحاكم (٢٢٦١) قالالألباني : صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِن أسبابِ وقوعِ العَذابِ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النبيُّ ﷺ: "إذا ظهَرَ"، أي: انتَشرَ وعَمَّ "الزِّنا" وهو إتيانُ النِّساءِ في الحَرامِ، وهو مِن أعظمِ الفواحشِ وأكثرِها مَفاسِدَ، "والرِّبا" وهو التعامُلُ بيْن الناسِ بأخْذِ الزِّيادةِ علىٰ رُؤوسِ الأموالِ دُونَ وَجهِ حَقٍّ، سواءٌ أكان في المالِ أمِ السِّلعِ، والتَّحذيرُ هنا يَبدَأُ بالـمُقرِضِ والـمُقترِضِ، ويَنتهي بالـمُجتمعِ الذي يَرضَىٰ بمِثلِ هذا ولا يُحارِبُه؛ ولذلك قال: "في قَريةٍ"، والمقصودُ بها أيُّ بلدٍ أو دَولةٍ "فقد أحَلُّوا"، أي: أنزَلُوا وأَوجَبُوا "بأنفُسِهم عذابَ اللهِ" وهذا العذابُ يكونُ في الدُّنيا وفي الآخِرةِ، إذا لـمْ يَتوبُوا إلىٰ اللهِ؛ ففي الدُّنيا تَنتشِرُ الأمراضُ والعِللُ والعَداواتُ وإراقةُ الدِّماءِ بسَببِ الزِّنا، وتُـمحَقُ البَركةُ بسَببِ الرِّبا، وفي الآخِرةِ يكونُ العذابُ مِن اللهِ جزاءً علىٰ هذه الكبائرِ، وفي إضافةِ العذابِ إلىٰ اللهِ تَفْظيعٌ لِشَأْنِه، وتَعظيمٌ لِقَدْرِه، وتَهْويلٌ لأمْرِ هاتينِ المَعصيتَينِ.

عن أمِّ المؤمنينَ عائشةُ قالت:"خَسَفَتِ الشَّمْسُ في عَهْدِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَصَلَّىٰ رَسولُ اللهِ ﷺبالنَّاسِ، فَقامَ، فأطالَ القِيامَ، ثُمَّ رَكَعَ، فأطالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قامَ فأطالَ القِيامَ وهو دُونَ القِيامِ الأوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فأطالَ الرُّكُوعَ وهو دُونَ الرُّكُوعِ الأوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فأطالَ السُّجُودَ، ثُمَّ فَعَلَ في الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ما فَعَلَ في الأُولَىٰ، ثُمَّ انْصَرَفَ وقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وأَثْنَىٰ عليه، ثُمَّ قالَ: إنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ آيَتانِ مِن آياتِ اللهِ، لا يَخْسِفانِ لِمَوْتِ أحَدٍ ولا لِحَياتِهِ، فإذا رَأَيْتُمْ ذلكَ، فادْعُوا اللهَ، وكَبِّرُوا وصَلُّوا وتَصَدَّقُوا. ثُمَّ قالَ: يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ واللهِ ما مِن أحَدٍ أغْيَرُ مِنَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللهِ أنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أوْ تَزْنِيَ أمَتُهُ، يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ واللهِ لو تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"[1].

أقسَمَ ﷺباللهِ أنَّه ما مِن أحدٍ أغْيَرُ مِن اللهِ أنْ يَزنيَ عبْدُه أو تَزنِيَ أَمَتُه، والمعنىٰ: أنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالىٰ يَغارُ أنْ تُنتهَكَ مَحارِمُه، وتُؤتَىٰ مَعاصيهِ؛ ولذا فظُهورُ هذه الفاحشةِ مُؤْذِنٌ بخَطرٍ عَظيمٍ؛ فكَثرةُ الزِّنا وانتشارُ الفاحشةِ مُؤذِنٌ بتَعجيلِ العُقوبةِ.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: (مَنْ عَصَىٰ اللهَ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ صَلَاحَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِالطَّاعَةِ)[2].

ثانياً: الإخلاص للّه تبارك وتعالى

فإن العبد إذا أخلص لربه وصدق في طلب التوبة أعانه الله وأمده بالقوة، وصرف عنه الآفات التي تعترض طريقه وتصده عن التوبة، ومن لم يكن مخلصاً لله استولت علىٰ قلبه الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله،قال تعالىٰ في حقِّ يوسفﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [سورة يوسف:٢٤].

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥﴾ [سورة

(١) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١)

(٢) تفسير ابن كثير٦/٢٨٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ص:٨٢-٨٥].

فكلما وحد العبد مقصوده، وصدق في قصده ومراده، بلغه الله ما يتمنىٰ وزيادة.

ثالثاً: مجاهدة النَّفس

فإنَّ العبد ما لم يجاهِد نفسه أولًا فيَبدأ بها ويُلزمها بفِعل ما أُمِرَتْ به وترْك ما نُهِيَتْ عنه، لم يُمكِنْه تجديد تَوبته لله عزَّ وجل؛ فعن فَضالةَ بن عُبيدٍ ﷺ، قال: قال رسولُ اللهﷺ: "ألا أُخبرُكم بالمُؤمن؟ من أمِنه النَّاسُ علىٰ أموالهم وأنفُسهم، والمُسلم مَن سلِم النَّاسُ من لسانه ويده، والمُجاهد مَن جاهد نفسَه في طاعة الله، والمُهاجِر مَن هَجَر الخطايا والذُّنوب"(١).

فمَن رحمه ربُّه، وفقه للعمل الصالح الذي به يدخله الجنة، وهو مما يشق علىٰ النفس الأمارة بالسوء، ويثقُل عليها، وجنَّبَهُ المعاصيَ، واتباعَ الشهوات التي بها يدخله النار، وهي مما تحبه النفس الأمارة بالسوء، وتميل إليه. ولذلك يقول النبيﷺ:" حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"(٢).

فمن أرغم نفسه علىٰ فِعلِ تلك المكاره التي تثقل عليها، وتجنُّبِ تلك الشهوات التي تميل إليها، فقد جاهدها.

---

(١) مسند أحمد (٢٣٩٦٧).قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح.

(٢) مسلم(٢٨٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن للنفس ثلاثة دواع: داعٍ يدعوها إلىٰ الاتِّصاف بأَخلاق الشيطان: من الكِبْر والحسد والبغي والفساد؛ وداع يدعوها إلىٰ أَخلاق الحيوان، وهو داعىٰ الشهوة؛ وداع يدعوها إلىٰ أَخلاق المَلَك: من الإحسان والنصح والبِرّ والطاعة والعلم(١).

رابعاً: تذكُّر الموت

تذكر الموت والاستعداد له و هو أمر مهم جدًا، فهو يحفز علىٰ البداربالتوبة والإكثار من الطاعات،ويدل لذلك قول النبي ﷺ:" أكثروا من ذكر هاذم اللذات "(٢).

وقال النبيﷺ:" أكثروا ذكر هاذم اللذات – الموت، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه"(٣).

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهأَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَاشِرَ عَشَرَةٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ أَكْيَسُ النَّاسِ وَأَحْزَمُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ: أَكْثَرَهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَأَشَدُّهُمُ اسْتِعْدَادًا لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ، أُولَئِكَ هُمُ الأَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الآخِرَةِ"(٤).

فتَذكُّرُ الموتِ والآخرةِ مِن البواعثِ الحقيقيَّةِ علىٰ تَحسينِ الصِّلةِ بين العبدِ

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٤/٤٩٤.

(٢) الترمذي (٢٣٠٧).حسن صحيح.

(٣) صحيح الجامع الصغير(١٢١١).

(٤) المعجمالأوسط(١٠٠٨).قال المنذري في الترغيب والترهيب(٤/١١٩): إسناده حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وربِّه، وإزالةِ شواغلِ الدُّنيا مِن الفِكرِ والعقلِ، وقاطِعِ الشَّهواتِ العاجلةِ، وهو سَببٌ يمنَعُ المتوغِّلَ في الشَّهواتِ والمعاصي والاستمرارَ في ذلك، وذِكرُه والوقوفُ علىٰ حقيقتِه يُعدِّلُ مسارَ هذا العاصي إلىٰ الزِّيادةِ في أفعالِ الجنَّة، والابتعادِ عن كلِّ ما يُقرِّبُ مِن النَّارِ، كما يُنبِّهُ علىٰ عدمِ تركِ النَّفسِ لمشاغِلِ الدُّنيا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامساً: الخوف من الله

الخوف من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهي فرض علىٰ كل احد؛ إذ أن حال العبد لا يخلو من حالين هما: الخوف والرجاء.

فالخوف شعار الأنبياء، قال الله تبارك وتعالىٰ عنهم:﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠].

ولقد تضافرت النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تدعو إلىٰ الخوف من الله؛ قال تعالىٰ:﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأنعام:١٥].

وقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام:٥١]، وقال الله عز وجل عن عباده الصالحين:﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان:١٠]، وقال عز وجل:﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة النور:٣٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الرعد:٢١].

لذا فقد جعل الله الخوف منه سبحانه شعبة من شعب الإيمان؛ فقال عز وجل:﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عمران:١٧٥].

كما حفلت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث عن الخوف من الله تعالىٰ. فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ قَالَ:" لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا". قَالَ: فَغَطَّىٰ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ"(١).

وَعَن أنس ﷺ قَالَ: دخل النَّبِي عَلَىٰ شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: "كَيْفَ تجدك؟" قَالَ: أرجو الله يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ"(٢).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنِّي أَرَىٰ مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَإِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ، تَجْأَرُونَ إِلَىٰ اللهِ، وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ"(٣).

وعن أم المؤمنين عائشة قالت:" فقَدْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الفِرَاشِ

(١) البخاري(٤٦٢١).

(٢) الترمذي(٩٨٣)، ابن ماجة(٤٢٦١). حسنه الألباني.

(٣) ابن ماجة(٤١٩٠)،الحاكم في المستدرك(٨٧٢٦).وقال الحاكم:صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي علَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ وهو في المَسْجِدِ وهُما مَنْصُوبَتَانِ وهو يقولُ: اللَّهُمَّ أعُوذُ برِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وبِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كما أثْنَيْتَ علَىٰ نَفْسِكَ"[1].

قال الغزالي ـ رحمه الله: اعْلَمْ أَنَّ الْخَوْفَ عِبَارَةٌ عَنْ تَأَلُّمِ الْقَلْبِ وَاحْتِرَاقِهِ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ مَكْرُوهٍ فِي الاستقبال،وحال الخوف ينتظم أيضا من علم وحال وعمل.

أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي إلىٰ المكروه وذلك كمن جنىٰ علىٰ ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والإفلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة عليه بالأسباب المفضية إلىٰ قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه علىٰ الانتقام خاليا عمن يتشفع إليهم في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته علىٰ الافتراس غالبا وإن كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرىٰ سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول علىٰ السيلان والاعراق وكذا النار علىٰ الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السَّبَبُ الْبَاعِثُ

(١) مسلم (٤٨٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْمُثِيرُ لِإِحْرَاقِ الْقَلْبِ وَتَأَلُّمِهِ وَذَلِكَ الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ تَارَةً يَكُونُ لِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَمَعْرِفَةِ صِفَاتِهِ وَأَنَّهُ لَوْ أَهْلَكَ الْعَالَمِينَ لَمْ يُبَالِ وَلَمْ يَمْنَعْهُ مَانِعٌ وَتَارَةً يَكُونُ لِكَثْرَةِ الْجِنَايَةِ مِنَ الْعَبْدِ بِمُقَارَفَةِ الْمَعَاصِي وَتَارَةً يَكُونُ بِهِمَا جَمِيعًا وَبِحَسَبِ مَعْرِفَتِهِ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِجَلَالِ اللهِ تَعَالَىٰ وَاسْتِغْنَائِهِ وَأَنَّهُ لَا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فتكون قُوَّةُ خَوْفِهِ فَأَخْوَفُ النَّاسِ لِرَبِّهِ أَعْرَفُهُمْ بِنَفْسِهِ وَبِرَبِّهِ وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ:" أَنَا أَخْوَفُكُمْ لِلَّهِ "(١). وَكَذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [سورة فاطر:٢٨]، ثُمَّ إِذَا كَمُلَتِ الْمَعْرِفَةُ أَوْرَثَتْ جَلَالَ الْخَوْفِ وَاحْتِرَاقَ الْقَلْبِ ثُمَّ يَفِيضُ أَثَرُ الْحُرْقَةِ مِنَ القلب علىٰ البدن وعلىٰ الجوارح وعلىٰ الصفات.

أما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق به المرارة فيفضىٰ إلىٰ الموت أو يصعد إلىٰ الدماغ فيفسد العقل أو يقوىٰ فيورث القنوط واليأس.

وَأَمَّا فِي الْجَوَارِحِ فَبِكَفِّهَا عَنِ الْمَعَاصِي وَتَقْيِيدِهَا بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل ولذلك قيل ليس الخائف من يبكىٰ ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه.

---

(١) لم أجده في كتب الحديث وروي بلفظ آخر عند البخاري وهو" "وَاللهِ إِنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم لَهُ" رقم(٥٠٦٣)، وعند مسلم:" "أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ" رقم(١١٠٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال أبو القاسم الحكيم: من خاف شيئًا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه.

وقيل لذي النون: متىٰ يكون العبد خائفا قال إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمىٰ مخافة طول السقام.

وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ فَبِأَنْ يَقْمَعَ الشَّهَوَاتِ وَيُكَدِّرَ اللَّذَّاتِ فَتَصِيرَ الْمَعَاصِي الْمَحْبُوبَةُ عِنْدَهُ مَكْرُوهَةً كَمَا يَصِيرُ الْعَسَلُ مَكْرُوهًا عِنْدَ مَنْ يَشْتَهِيهِ إِذَا عَرَفَ أَنَّ فِيهِ سُمًّا فَتَحْتَرِقُ الشَّهَوَاتُ بِالْخَوْفِ وَتَتَأَدَّبُ الْجَوَارِحُ وَيَحْصُلُ فِي الْقَلْبِ الذُّبُولُ وَالْخُشُوعُ والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره وَلَا يَكُونُ لَهُ شُغْلٌ إِلَّا الْمُرَاقَبَةُ وَالْمُحَاسَبَةُ والمجاهدة والضِّنَّة بالأنفاس واللحظات مؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولىٰ عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المحظورات ويسمىٰ الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فإن زادت قوته كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيكف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمىٰ ذلك تقوىٰ إذ التقوىٰ أن يترك ما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يريبه إلىٰ ما لا يريبه[١].

ويحصل الخوف عند العبد بأمور وهي:

استشعار خطورة وعظم الذنب وهوله: عن ابن مَسْعُودٍ ﷺقَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا"[٢].

وذلكلأن الذّنوب تُورِث الذِّلّة والمهانة فقد روىٰ الإمام أحمدُ في الزُّهد عن جُبيرِ بنِ نُفيْر قال: لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُسُ وَفُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا فَبَكَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ رَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ قَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ مَا أَهْوَنَ الْخَلْقَ عَلَىٰ اللهِ إِذَا هُمْ تَرَكُوا أَمْرَهُ بَيْنَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَصَارُوا إِلَىٰ مَا تَرَىٰ "[٣].

كما أنّ صاحبَ المعصيةِ تلعنُه حتىٰ البهائم. قال مجاهدٌ في تفسير قولِه تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [سورة البقرة:١٥٩]، قال: إن البهائمَ تلعنُ عصاةَ بنىٰ آدم إذا أشتدت السنةُ وأمسكَ المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن ادم. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ الْحُبَارَىٰ لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ. قَالَ عِكْرِمَةُﷺ: دَوَابُّ الْأَرْضِ وَهَوَامُّهَا حَتَّىٰ الْخَنَافِسُ وَالْعَقَارِبُ، يَقُولُونَ: مُنِعْنَا الْقَطْرَ بِذُنُوبِ بَنِي

(١) إحياء علوم الدين٤/١٥٥. ١٥٦.

(٢) البخاري (٦٣٠٨).

(٣) الزهد (٧٦٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آدَمَ[١].

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺمُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: "مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: "العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ"[٢].

تعظيم محارم الله: قال الله ـ عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [سورة الحج:٣٠]، وعن أبي ثعلبة الخشني ﷺأن رسول الله ﷺقال: "إن الله – تعالىٰ- فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها"[٣].

وبيّن العلماء الكيفية التي يعظّم بها المسلم حرمات ربه، ويكون ذلك بالامتناع عمّا نهىٰ الله عنه، والتزام ما أمر به، وتعظيم محبة القلب لما أمر الله به، واستكمال العبودية في الالتزام بحرماته بعيداً عن التكاسل أو التهاون. وكلما قوي إيمان العبد كلما كان لحرمات الله أشدَّ تعظيما قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه: "

---

(١) الداء والدواء ص:٥٨.

(٢) البخاري (٦٥١٢).

(٣) رياض الصالحين (١٨٣٢) ورواه في الأربعين، وقال:حسن. وتعقبه ابن رجب وقال:له علتان إحداهما أن مكحولًا لم يصحّ سماعه عن أبي ثعلبة. الثانية أن بعضهم روى عن أبي ثعلبة قوله وضعفه الألباني في المشكاة برقم (١٩٧). قال ابن حجر: رجاله ثقات إلّا أنه منقطع: (المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثَّمَانِيَةِ) حديث رقم(٢٩٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر، وإنا كنا لنعدها علىٰ زمن رسول الله من الموبقات"(١).

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله: "بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله"(٢).

معرفة فضل الخائفين من الله الوجلين: قال تعالىٰ:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢].

قال تعالىٰ:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات:٤٠-٤١].

قال سبحانه وتعالىٰ:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن:٤٦].

وعن أبي هريرة ﷺقال: قالَ رسُولُ اللهﷺ: "لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْع، وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ الله ودُخانُ جَهَنَّمَ"(٣).

وعنه ﷺقالَ رسُولُ اللهﷺ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه،،"

---

(١) البخاري (٦٤٩٢)،ومسند أحمد (١٢٦٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٢٧/٨.

(٣) رواه الترمذي (١٦٣٣) وقال:حسن صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحديث، وفيه: "ورَجُلٌ ذَكَرَ الله خالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(١).

فإن الخائف، دائم الدمعة لا قرار له إلا في دار القرار فان غزارة الدمع تطفئ حرارة الشهوات وتكف المرء عن معصية ربه، لذا كان جزاؤه أن يكون في ظل عرش الرحمن.

عن ابن عباس ﷺ" قال سمعت النبي ﷺ قال:" عينان لا تمسهما النار – عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله "(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺيَرْوِي عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ: "وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أخفته يوم القيامة"(٣).

وعنه ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ"(٤).

تدبر أحوال الظالمين والعاصين: قال تعالىٰ:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [سورة مريم:٩٨].

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ

(١) البخاري(٦٦٠)،ومسلم(١٠٣١).
(٢) الترمذي(١٦٣٩).قال: حسن غريب.
(٣) صحيح ابن حبان (٦٤٠)، مسند البزار (٨٠٢٨).وحسنه الألباني في الصحيحة(٧٤٢).
(٤) الترمذي(٢٤٥٠).قال:حسن غريب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة إبراهيم:٤٢].

قال تعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤٠].

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ"(١).

فتدبر أحوال الظالمين وكيف انتقم الله منهم يجعل الإنسان في خوف من أن يتعرض لمثل ما تعرض إليه هؤلاء. ومن ذلكانتقام الله تعالىٰ من أكابر كفار قريش فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، تَرَكَ قَتْلَىٰ بَدْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: "يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ يَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا" فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّىٰ يُجِيبُوا وَقَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا» ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا، فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ"(٢).

---

(١) مسلم(٢٥٨٣).

(٢) مسلم (٢٨٧٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والنماذج الظالمة التي أخذها الله سبحانه وتعالىٰ كثيرة في كتابه وفي سنة نبيهﷺ، وفي كتب السير.

سادسا: تَذكُّر النَّعيم المقيم يوم القيامة

إنَّ العبد إذا ما تفكَّر في الجنَّة ونعيمها، ودرجاتها وحُورِها، حرَصَتْ نفسُه علىٰ الطَّاعة، والبعد عن المعصية، وتجديد التوبة؛ حتىٰ يكون من الفائزين برِضا ربِّ العالمين، وليكون يومَ القيامة في درجة عالية في الجنَّة في نَعيم مُقيمٍ.

ورد في الموسوعة العقدية بيان فضل نعيم الجنة علىٰ متاع الدنيا، فمتاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجنة غيب موعود، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون، ويثقل علىٰ قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلىٰ شيء ينالونه في الزمن الآتي، فكيف إذا كان الموعود ينال بعد الموت؟ من أجل ذلك قارن الحق تبارك وتعالىٰ بين متاع الدنيا ونعيم الجنة، وبين أن نعيم الجنة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها. وتجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله علىٰ متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع كثيرة، كقوله تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [سورة آل عمران:١٩٨]، وقوله:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [سورة طه:١٣١]، وقال في موضع ثالث: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [سورة آل عمران:١٤-١٥]، ولو ذهبنا نبحث في سر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا لوجدناه من وجوه متعددة:

متاع الدنيا قليل:قال تعالى:﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [سورة النساء:٧٧]، وقد صور لنا الرسول - ﷺ - قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار بالسبابة – في اليم، فلينظر بم ترجع"(١).

ما الذي تأخذه الإصبع إذا غمست في البحر الخضم، إنها لا تأخذ منه قطرة. هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة.

هو أفضل من حيث النوع: فثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم – أفضل مما في الدنيا، بل لا وجه للمقارنة، فإن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"موضع سوط في الجنة خير من

---

(١) مسلم (٢٨٥٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدنيا وما فيها"[١].

وقارن نساءَ أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجنة علىٰ ما في الدنيا. عن أنس ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: "لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت علىٰ الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها علىٰ رأسها خير من الدنيا وما فيها"[٢].

الجنة خالية من شوائب الدنيا وكدرها: فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول، والروائح الكريهة، وإذا شرب المرء خمر الدنيا فقد عقله، ونساء الدنيا يحضن ويلدن، والمحيض أذىٰ، والجنة خالية من ذلك كله، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يبصقون ولا يتفلون، وخمر الجنة كما وصفها خالقها:﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [سورة الصافات:٤٦-٤٧]، وماء الجنة لا يأسن(أي لا يتغير)، ولبنها لا يتغير طعمه ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ﴾ [سورة محمد:١٥]، ونساء أهل الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٥]. وقلوب أهل الجنة صافية، وأقوالهم طيبة، وأعمالهم صالحة، فلا تسمع في الجنة كلمة نابية تكدر الخاطر، وتعكر المزاج، وتستثير الأعصاب، فالجنة خالية من باطل الأقوال والأعمال ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ

(١) البخاري (٣٢٥٠)،مسند أحمد(١٥٥٧٢).

(٢) البخاري (٢٧٩٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴾ [سورة الطور:٢٣]، ولا يطرق المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [سورة النبأ:٣٥]، ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [سورة مريم:٦٢]،﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [سورة الغاشية:١١]، إنها دار الطهر والنقاء والصفاء الخالية منالأكدار، إنها دار السلام والتسليم﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [سورة الواقعة:٢٥-٢٦]، ولذلك فإن أهل الجنة إذا خلصوا من النار حبسوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار، ثم يهذبون وينقون بأن يقتص لبعضهم من بعض، فيدخلون الجنة وقد صفت منهم القلوب، وزال ما في نفوسهم من تباغض وحسد ونحو ذلك مما كان في الدنيا، فصفة أهل الجنة عند دخول الجنة:"لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا"[1].

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[سورة الحجر:٤٧].

وقد نقل عن ابن عباس ﷺوعلي بن أبي طالبﷺ أن أهل الجنة عندما يدخلون الجنة يشربون من عين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ويشربون من عين أخرىٰ فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم[2]، ولعلهم استفادوا هذا من قوله تعالىٰ:﴿

(١) البخاري (٣٢٤٥)،مسلم (٢٨٣٤).

(٢) الجنة والنار لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر ص:٢٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [سورة الإنسان:٢١].

نعيم الدنيا زائل، ونعيم الآخرة باق دائم: ولذلك سمىٰ الحق تبارك وتعالىٰ ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعـًا، لأنه يتمتع به ثم يزول، أما نعيم الآخرة فهو باق، ليس له نفاد﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾ [سورة النحل:٩٦]، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [سورة ص:٥٤]﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ ﴾ [سورة الرعد:٣٥]، وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [سورة الكهف:٤٥-٤٦]، فقد ضرب الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض فيخضر ويزهر ويثمر، وما هي إلا فترة وجيزة حتىٰ تزول بهجته، فيذوي ويصفر، ثم تعصف به الرياح في كل مكان، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء الحرث والزرع،. كلها تتلاشىٰ وتنقضي، فالشباب يذوي ويذهب، والصحة والعافية تبدل هرمـًا ومرضـًا، والأموال والأولاد قد يذهبون، وقد ينتزع الإنسان من أهله وماله، أما الآخرة فلا رحيل، ولا فناء، ولا زوال﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة النحل:٣٠][1].

(١): الموسوعة العقدية ٥/١٢١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سابعا: الحِرص على النَّوافل

والإكثار من الطَّاعات؛ فإنَّ النوافل تُقرِّب المسلمَ من ربِّه جلَّ وعلا وتَرفع درجته؛ فيكون معلَّقًا بالله، دائم التوبة والاستِغفار.

عنأبي هريرة ﷺقال: قال رسولُ اللهﷺ: "إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "(١).

والمقصود أن من اجتهد بالتقرب إلىٰ الله بالفرائض ثم بالنوافل، قَرَّبه الله إليه ورَقَّاه من درجة الإيمان إلىٰ درجة الإحسان، فيصير يعبد الله كأنه يراه، فلا تنبعث جوارحه إلا بما يحبه مولاه، فإن نطق لم ينطق إلا بما يرضي الله، وإن سمع لم يسمع ما يسخط الله، وإن نظر لم ينظر إلىٰ ما حرم الله.

ثامنا: مُصاحبة الصَّالحين

فالبعد عن قُرَناء السوء ومواطِن المعصية؛ فإنَّه يَنبغي علىٰ المسلم أن يَحرص علىٰ صُحبة أهل الخير، الذين يُذكِّرونه إذا نَسي، ويعينونه إذا ذَكَر،

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقوِّمونه إذا اعوجَّ، ويقودونه إلىٰ الحقِّ وإلىٰ الطريق المستقيم، وأن يَصرِف نفسه عن مواطن المعاصي ورُفَقاء السوء، صحبة الأخيار من علامات الأَبرار، وصحبة الأخيار والصالحين من دين الإسلام.

قال اللهتعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الفرقان:٢٧-٢٩].

قال اللهتعالىٰ:﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف:٦٧].

قال القرطبي في تفسيره لآية:﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ ﴾ [سورة الكهف:١٨].

إذ كَانَ بَعْضُ الْكِلَابِ قَدْ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا بِصُحْبَتِهِ وَمُخَالَطَتِهِ الصُّلَحَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ جَلَّ وَعَلَا فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين الْمُحِبِّينَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ(١).

عن أبي سعيدٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: "لا تُصَاحِبْإلا مُؤْمِنًاولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقيٌّ"(٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٧١.٣٧٢.

(٢) سنن ابي داود (٤٨٣٢)، الترمذي(٢٣٩٥)وقال:حسن، صحيح ابن حبان(٥٥٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عنأبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: "إن للّه ملائكةٌ يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلمّوا إلىٰ حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلىٰ السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ ثم ذكر الحديث بطوله وفي آخره – قال: فيقول الله: فأشهدكم أني قد غفرت لهم: فتقول الملائكة: فيهم فلان عبدٌ خطّاءٌ، إنّما مرَّ فجلس معهم، قال: فيقول: هم الجلساء لا يشقىٰ جليسُهم"(١).

وعَنْه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: "الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"(٢).

قال علي بن أبي طالبﷺ: (عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلىٰ قول أهل النار فمالنا من شافعين ولا صديق حميم)(٣).

تاسعا: الدُّعاء والتضرُّع لله عزَّ وجلَّ

فإن الدُّعاء له منزلةٌ عظيمةٌ في الإسلام؛ فهو من أفضل العبادات؛ ولهذا جاءت نصوص كثيرة في القرآن الكريم وسنَّة نبيناﷺتدل علىٰ فضل الدُّعاء؛ لما فيه من إظهار غاية التذلُّل والافتقار إلىٰ الله، والاستكانة له.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

(١) البخاري (٦٤٠٨).

(٢)ابو داود(٤٨٣٣)،و الترمذي(٢٣٧٨) وقال: حسن غريب.

(٣) إحياء علوم الدين ٢/١٦٠، الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ١٠/٣٢٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

قال الله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النمل:٦٢].

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: ينبِّه تعالىٰ أنه هو المدعوُّ عند الشدائد، المرجوُّ عند النوازل؛ كما قال:﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [سورة الإسراء:٦٧]، وقال تعالىٰ:﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [سورة النحل:٥٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [سورة النمل:٦٢].

أي: مَن هو الذي لا يلجأ المضطرُّ إلا إليه، والذي لا يكشف ضرَّ المضرورين سواه[1].

ولا يكون الإنسان مضطرا في أمر أكثر من أن يكون دينه وإيمانه عرضة للنقصان، وذنبه سبيله للهوان.

قال جل شأنه:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر:٦٠].

قال ابن كثير – رحمه الله –: هذا مِن فضله تبارك وتعالىٰ وكرمه؛ أنه ندَب

(١) تفسير القرآن العظيم٦/٢٠٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عباده إلىٰ دعائه، وتكفَّل لهم بالإجابة[1].

قال سبحانه﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف:٥٥-٥٦].

قال الله تعالىٰ حكاية عن إبراهيمﷺ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة إبراهيم:٣٧].

وقال إبراهيمﷺ أيضًا:﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [سورة إبراهيم:٤٠-٤١].

قال الله تعالىٰ حكاية عن موسىٰﷺ:﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [سورة طه:٢٥-٣٦].

ومن السنةما روىٰ الترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ليس شيءٌ

(١) المرجع السابق ١٥٣/٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أكرمَ علىٰ الله تعالىٰ من الدُّعاء"[١].

عن سلمان الفارسي ﷺ قال رسول اللهﷺ: "إن ربَّكم تبارك وتعالىٰ حييٌّ كريمٌ، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفرًا؛ "أي خاليتين"[٢].

عن أنس بن مالكٍ ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "قال الله تبارك وتعالىٰ: يا بنَ آدمَ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك علىٰ ما كان فيك ولا أبالي، يا بنَ آدم، لو بلغت ذنوبُك عَنان السماء ثم استغفرتَني غفرتُ لك ولا أبالي، يا بنَ آدم، إنك لو أتيتَني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئًا، لأتيتُك بقرابها مغفرةً"[٣].

فيَنبغي علىٰ كلِّ مسلم أن يكثِر من الدعاء بالثَّبات علىٰ الطَّاعة، فقد كان النبيُّ ﷺ يَفعل ذلك؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يُكثرُ أن يقول: "يا مُقلِّبَ القُلوب، ثبِّت قلبي علىٰ دينك"، فقُلتُ: يا رسولَ الله، آمَنَّا بك وبما جئتَ به، فهل تَخافُ علينا؟ قال: "نَعم، إنَّ القُلوب بين إصبعينِ من أصابع الله يُقلِّبُها كيف يشاءُ"[٤].

عاشرا: الحياء من الله عز وجل

عَنِ ابْي مَسْعُودٍ البدري ﷺأَنَّ النَّبِيُّ ﷺقال:" إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ

(١) الترمذي (٣٣٧٠) وقال: حسن.

(٢) أبو داود(١٤٨٨).صححه الألباني.

(٣) الترمذي(٣٥٤٠)،مسند البزار(٦٧٦٠).قال الترمذي:حسن.

(٤) مسند أحمد (١٢١٠٧)وإسناده قوي،الترمذي(٢١٤٠) وقال:حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النُّبُوَّةِ الأُولَىٰ إِذَا لم تستح فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"[١].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "فالْحَيَاءُ هو الَّذِي يَكُفُّ الْإِنْسَانَ عَنْ مُوَاقَعَةِ الشَّرِّ، فَإِذَا تَرَكَهُ صَارَ كَالْمَأْمُورِ طَبْعًا بِارْتِكَابِ كُلِّ شَرٍّ"[٢].

قال أَبُو حاتم ـ رحمه الله ـ: "الواجب علىٰ العاقل لزوم الحياء لأنه أصل العقل وبذر الخير وتركه أصل الجهل وبذر الشر والحياء يدل علىٰ العقل كما أن عدمه دال علىٰ الجهل"[٣].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ النَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: "اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ" فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي، قَالَ: "لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ مَنِ اسْتَحْيَىٰ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَىٰ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَىٰ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَىٰ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ"[٤].

فحياء الإنسان من ربِّه في أن يعصيه، وقد أسدىٰ إليه ربُّه من المعروف وأكرمه بالنِّعم وأسبغ عليه من الآلاء ما لا يعد ولا يحصىٰ، فإنَّ الإنسان بطبعه إذا أحسن إليه شخصٌ أنَّه يستحيي من معصيته ومخالفة أمره، فلو أحسن إليه بشربة

---

(١) البخاري(٦١٢٠).

(٢) فتح الباري ٥٢٣/١٠.

(٣) روضة العقلاء ص:٥٦.

(٤)) المستدرك(٧٩١٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ماءٍ استحيا من أن يعصيه وأن يخالفه أو يؤذيه، فكيف بالله تعالىٰ. فالحياء من الله: أنَّ الإنسان يتذَّكر النِّعم فيستحيي من المعصية ومن مخالفته وأن يراه علىٰ صورةٍ أو هيئةٍ يكرهها ويبغضها.

ومن الحياء أيضـًا في العلاقة بينالعبد وربِّه: حياءُ العاصي ممَّن عصاه، فإنَّه إذا عصاه يستحيي إذا كان مؤمنـًا تقيـًا، كيف أنَّه أنعم عليه وفعل له من المعروف وأسبغ عليه النِّعم؛ ثُمَّ هو يعصيه بعد ذلك، فيستحي ويتوب ويعتدل ويستقيم ويؤوب إلىٰ الله.

وعن عمران بن حصين ﷺقال: قال النَّبيُّ ﷺ: "الحَيَاء لا يأتي إلَّا بخير"(١).

قال ابن بطَّال ـ رحمه الله: "معناه أنَّ مَن استحيا مِن النَّاس أن يروه يأتي الفجور ويرتكب المحارم، فذلك داعيةٌ له إلىٰ أن يكون أشدَّ حياءً مِن ربِّه وخالقه، ومَن استحيا مِن ربِّه فإنَّ حياءه زاجرٌ له عن تضييع فرائضه وركوب معاصيه؛ لأنَّ كلَّ ذي فطرة صحيحة، يعلم أنَّ الله تعالىٰ النَّافع له والضَّار والرَّزاق والمحيي والمميت، فإذا عَلِم ذلك فينبغي له أن يستحيي منه عزَّ وجلَّ(٢).

ولا خير أعظم من توبة العبد إلىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ؛ إذ بها يحصل كل خير في الدنيا والآخرة.

---

(١) البخاري (٦١١٧)،مسلم(٣٧).

(٢) شرح صحيح البخاري ٢٩٨/٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحادي عشر: أن يعيش مع اسم الله الرقيب

الرقيب سبحانه هو المطلع علىٰ خلقه يعلم كل صغيرة وكبيرة في ملكه، لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة:٧].

قال تعالىٰ:﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الزخرف:٨٠].

فالله سبحانه رقيب راصد لأعمال العباد وكسبهم، عليم بالخواطر التي تدب في قلوبهم، يرىٰ كل حركة أو سكنة في أبدانهم، ووكل ملائكته بكتابة أعمالهم وإحصاء حسناتهم وسيئاتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار:١٠-١٢]، فالملائكة تسجل أفعال الجنان والأبدان، وقال تعالىٰ عن تسجيلهم لقول القلب وقول اللسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة ق:١٦-١٨]، وهو من فوقهم رقيبٌ عليهم وعلىٰ تدوينهم، ورقيبٌ أيضًا علىٰ أفعال الإنسان قال تعالىٰ:﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة يونس:٦١].

قال السعدي ـ رحمه الله: الرقيب هو: "المطلع علىٰ ما أكنته الصدور، القائم علىٰ كل نفسٍ بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها علىٰ أحسن نظام وأكمل تدبير"(١).

قال ابن القيم ـ رحمه الله: المراقبة هي:" دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق علىٰ ظاهره وباطنه"(٢).

قال الغزالي ـ رحمه الله: اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: أنه يراقب فلانًا ويراعىٰ جانبه، ويعنىٰ بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوعٌ من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب.

أما الحالة: فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه.

وأما المعرفة: التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع علىٰ الضمائر عالم بالسرائر، رقيب علىٰ أعمال العباد، قائم علىٰ كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص:٩٤٧.

(٢) مدارج السالكين ٢/٦٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذه المعرفة إذا صارت يقينًا، أعنىٰ أنها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك علىٰ القلب فقهرته. فرُبَّ علمٍ لا شك فيه لا يغلب علىٰ القلب، كالعلم بالموت، فإذا استولت علىٰ القلب، استجرت القلب إلىٰ مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلىٰ الصديقين وإلىٰ أصحاب اليمين[1].

سُئِل ذو النون: بِمَ ينال العبد الجنة؟ فقال: "بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالىٰ في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب.

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي ـ رحمهما الله: عظني فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت علىٰ أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت.

وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله: عليك بالمراقبة ممن لا تخفىٰ عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة

قال عبد الله بن دينار ـ رحمه الله: خرجت مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال إني مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب قال فأين الله

(١) إحياء علوم الدين ٤/٣٩٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال فبكىٰ عمر رضي الله عنه ثم غدا إلىٰ المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة[١].

قال ابن الجوزيّ- رحمه الله-: الحقّ عزّ وجلّ- أقرب إلىٰ عبده من حبل الوريد. لكنّه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيّته، ورفع اليدين إليه، والسّؤال له. فقلوب الجهّال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحقّقت مراقبتهم للحاضر النّاظر لكفّوا الأكفّ عن الخطايا. والمتيقّظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة، وكفتهم عن الانبساط،،ولولا نوع تغطية علىٰ عين المراقبة الحقيقية، لما انبسطت كف بأكل، ولا قدرت عين علىٰ نظر[٢].

فمتىٰ تحققت المراقبة خشي العبد من ربه أن يراه علىٰ ذنب،ومتىٰ تحقق الخوف من الله بسبب الذنب، أعانه ذلك علىٰ محاسبة نفسه والتوبة إلىٰ الله عز وجل.

الثاني عشر: أن يعيش مع اسم اللّه الديان

والديان هو: المجازي المحاسب، والله – جل وعلا – يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة، عراة ليس عليهم ثياب، حفاة بلا نعال، غرلاً أي: غير مختتنين، بهمًا أي ليس معهم شيئًا من متاع الدنيا، ثم يجازيهم ويحاسبهم علىٰ ما

(١) المرجع السابق ٤/٣٩٦. ٣٩٧.

(٢)) صيد الخاطر ص:٢١٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قدموا في حياتهم الدنيا من أعمال، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشر[١].

قال الله:﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[سورة غافر:١٧].

قال الله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [سورة الفاتحة:٤]،أي: مالك يوم الجزاء علىٰ الأعمال والحساب بها.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ﴾ [سورة غافر:١٧]

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [سورة الصافات:٥٣]، أي: مجزيون محاسبون.

وَعَن عبد الله بن أنيس ﷺ أَنه سمع النَّبِي ﷺ يَقُول:"يحْشر الله الْعباد يَوْم الْقِيَامَة أَو قَالَ النَّاس عُرَاة غرلًا بهما". قَالَ قُلْنَا وَمَا بهما؟ قَالَ:" لَيْسَ مَعَهم شَيْء ثمَّ يناديهم بِصَوْت يسمعهُ من بعد كَمَا يسمعهُ من قرب أَنا الديَّان أَنا الْملك لَا يَنْبَغِي لأحد من أهل النَّار أَن يدْخل النَّار وَله عِنْد أحد من أهل الْجنَّة حق حَتَّىٰ أقصه مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لأحد من أهل الْجنَّة أَن يدْخل الْجنَّة ولأحد من أهل النَّار عِنْده حق حَتَّىٰ أقصه مِنْهُ حَتَّىٰ اللَّطْمَة" قَالَ قُلْنَا كَيفَ وإننا نأتي عُرَاة غرلًا بهما ؟قَالَ

(١) فقه الأسماء الحسنى: الشيخ عبدالرزاق البدر ص:٣١٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْحَسَنَات والسيئات"[١].

فإذا عرف العاقل أن الرب – سبحانه – ديان، وأن يوم القيامة يوم جزاء وحساب، وأنه سيلقىٰ الله ذلك اليوم لا محالة، وأنه في ذلك اليوم سيجد أعماله كلها محضرة خيرها وشرها، فإنه سيحسب لذلك اليوم حسابه، ويعد له عدته.

فالكيس من دان نفسه وحاسبها ما دام في دار المهلة والعمل، والعاجز من أهملها سادرة في غيها، وأتبعها هواها إلىٰ أن يفجأه الندم[٢].

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الْحَجَّاجِ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: "حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة:١٨][٣].

ولما سأل الصحابة ﷺ كيف يكون الحساب حينئذ والناس إنما يقدمون إلىٰ الله يوم القيامة عراة غرلاً بهمًا ؟، قال: "بالحسنات والسيئات"، أي: أنه سبحانه يأخذ للمظلوم من حسنات ظالمه، فإن لم يكن عنده حسنات، أخذ من سيئات المظلوم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار، كما في حديث أبىٰ هريرة – رضىٰ الله عنه –، أن رسول الله – ﷺ –، قال: " أتدرون من المفلس ؟ "، قالوا: المفلس فينا

(١) مسند أحمد (١٦٠٤٢) إسناده حسن.

(٢) فقه الأسماء الحسنى ص:٣١٨.

(٣) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص:٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من لا درهم له ولا متاع، فقال: " إن المفلس من أمتىٰ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطىٰ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضىٰ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"(١).

وروىٰ أيضاً من حديث أبىٰ هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺقال: " لتؤدن الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة، حتىٰ يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"(٢).

فالمرء منا إن عاش علىٰ هذه المعاني،وجعل اسم الله الديَّان دائما أمام عينيه وتعبد لله به، أثمر ذلك في قلبه الورع والبعد عن ما يغضب الله ـ عز وجل ـ وحثه علىٰ فعل كل طيب وكل مأمور به وعلىٰ لزوم الاستقامة، وأعانه علىٰ التحلل من المظالم في الدنيا، وطلب المغفرة وتكفير السيئات، والعزم علىٰ ترك المعاصي والندم عليها، وهذه هي حقيقة التوبة وأركانها.

الثالث عشر: محبة الله ـ عز وجل

قال ابن جزي ـ رحمه الله: والبواعث علىٰ التوبة سبعة: منها،، ومحبة الحبيب(٣).

قال الله ـ تعالىٰ ـ في وصف المؤمنين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ

(١) مسلم (٢٥٨١).
(٢) مسلم (٢٥٨٢).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٦٨/٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

وفي صحيح البخاري من حديث أنس ﷺقال رسول اللهﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا للّه ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللّه كما يكره أن يلقىٰ في النار"(١).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن منزلة المحبة: وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ. وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ. وَإِلَىٰ عِلْمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ. وَعَلَيْهَا تَفَانَىٰ الْمُحِبُّونَ. وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ. فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَاتِ. وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ. وَالشِّفَاءُ الَّذِي مَنْ عَدِمَهُ حَلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الْأَسْقَامِ. وَاللَّذَّةُ الَّتِي مَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وَآلَامٌ.

وَهِيَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي مَتَىٰ خَلَتْ مِنْهَا فَهِيَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ. تَحْمِلُ أَثْقَالَ السَّائِرِينَ إِلَىٰ بِلَادٍ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بَالِغِيهَا. وَتُوصِلُهُمْ إِلَىٰ مَنَازِلَ لَمْ يَكُونُوا بِدُونِهَا أَبَدًا وَاصِلِيهَا. وَتُبَوِّؤُهُمْ مِنْ مَقَاعِدِ الصِّدْقِ مَقَامَاتٍ لَمْ يَكُونُوا لَوْلَاهَا دَاخِلِيهَا. وَهِيَ مَطَايَا الْقَوْمِ الَّتِي مَسْرَاهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهَا دَائِمًا إِلَىٰ الْحَبِيبِ. وَطَرِيقُهُمُ الْأَقْوَمُ الَّذِي يُبَلِّغُهُمْ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمُ الْأُولَىٰ

(١) حديث رقم(١٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنْ قَرِيبٍ.

تَاللهِ لَقَدْ ذَهَبَ أَهْلُهَا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. إِذْ لَهُمْ مِنْ مَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمْ أَوْفَرُ نَصِيبٍ. وَقَدْ قَضَىٰ اللهُ - يَوْمَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ بِمَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ -: أَنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ. فَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ عَلَىٰ الْمُحِبِّينَ سَابِغَةٍ[1].

ومحبة الله هي إيثار محبة الله علىٰ ما سواه بالتزام أمره واجتناب نهيه واتباع رسوله ﷺ في كل كبير وصغير، وسلوك طريق المحبين والتحزب لأهل محبة الله ونصرتهم ومودتهم وصرف المحبة الإيمانية لكل محبوب لله والبعد عن كل ما يسخط الله وينافي محبته، وشرط المحبة لله الإحسان في العمل واتباع الشرع.

أما ادعاء المحبة مع عدم التزام بالشرع فدعوىٰ كاذبة وغرور باطل من جنس أماني أهل الكتاب التي لا تساوي شيئا عند الله.قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:٣١].

اشترىٰ أبو عبد الله النباجي جارية سوداء للخدمة فقال لها: قد اشتريتك، فضحكت فحسبها مجنونة فقال: أمجنونة أنتِ؟؟

فقالت: سبحان من يعلم خفايا القلوب، ما بمجنونة أنا ثم قالت: هل تقرأ شيئًا من القرآن ؟ قال: نعم، فقالت: اقرأ عليّ.

فقرأ عليها: بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) مدارج السالكين ٣/٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فشهقت شهقة وقالت: يا الله هذه لذة الخبر فكيف لذة النظر؟

فلما جن الليل وطأ فراشًا للنوم فقالت له: أما تستحي من مولاك أنه لا ينام وأنت تنام؟،

ثم أنشدت:

عجبًا للمحب كيف ينام ... جوف الليل وقلبه مستهام

إن قلبي وقلب من كان مثلي ... طائران إلىٰ مليك الأنام

فأرضي مولاك إن أردت نجاة ... وتجافى عن إتباع الحرام

قال النباجي: فقامت ليلتها تصلي فقمت من نومي أبحث عنها فإذا هي تناجي ربها ساجدة وتقول: بحبك إياي لا تعذبني، فلما انتهت قلت لها: كيف عرفت أنه يحبك؟؟

قالت: أما أقامني بين يديه وأنامك،، ولولا سابق محبته لي لم أحبه أما قال: يحبهم ويحبونه[1].

عن السري ـ رحمه الله ـ قال: دخلت سوق النخاسين، فرأيت جارية ينادىٰ عليها بالبراءة من العيوب فاشتريتها بعشرة دنانير، فلما انصرفت بها -أي إلىٰ المنزل- عرضت عليها الطعام فقالت لي: إني صائمة.

قال: فخرجت ، فلما كان العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه قليلا، ثم صلينا العشاء فجاءت إليّ و قالت:يا مولاي بقيت لك خدمة؟ قلت: لا. قالت: "دعني إذاً

(١) الصلاة والتهجد لابن الخراط ص: ٣٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع مولاي الأكبر".

قلت: لك ذلك فانصرفت إلىٰ غرفة تصلي فيها، و رقدت أنا ، فلما مضىٰ من الليل الثلث ضربت الباب عليّ. فقلت لها: ماذا تريدين؟ قالت: يا مولاي أما لك حظ من الليل؟

قلت: لا فذهبت، فلما مضىٰ النصف منه ضربت علي الباب و قالت: يا مولاي ، قام المتهجدون إلىٰ وردهم وشمر الصالحون إلىٰ حظهم قلت: يا جارية أنا بالليل خشبة (أي: جثة هامدة) و بالنهار جلبة (كثير السعي). فلما بقي من الليل الثلث الأخير: ضربت علي الباب ضربا عنيفا. وقالت: أما دعاك الشوق إلىٰ مناجاة الملك، قدم لنفسك و خذ مكانـًا فقد سبقك الخُدام.قال السري: فهاج مني كلامها وقمت فأسبغت الوضوء وركعت ركعات، ثم تحسست هذه الجارية في ظلمة الليل فوجدتها ساجدة و هي تقول: " الهي بحبك لي إلا غفرت لي " فقلت لها: يا جارية و من أين علمت أنه يحبك؟

قالت:لولا محبته ما أقامني وأنامك. فقلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله العظيم.

فدعت ثم خرجت وهي تقول: "هذا العتق الأصغر بقي العتق الأكبر" (أي: من النار)[1].

(١) المرجع السابق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكلما زاد حب العبد لربه؛ زاد الشوق لقربه ولعبادته ولذكره وتسبيحه والتقرب إليه بالنوافل حتىٰ يحبه،فبهذا الحب يحفظ الله جوارحه، فإذا سمع كان مسدداً من الله في سمعه، فلا يسمع إلا إلىٰ الخير، ولا يقبل إلا الحق وينزاح عنه الباطل بتأييد الله وتوفيقه، فيرىٰ الحق حقًا والباطل باطلاً، وإذا بطش بشيء بطش بقوة من الله فكان بطشه من بطش الله نصرة للحق، وإذا مشىٰ كان مشيه في طاعة الله طلبًا للعلم، وجهاداً في سبيل الله، وبالجملة كان عمله بجوارحه الظاهرة والباطنة بهداية من الله وقوة منه سبحانه.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "(١).

الرابع عشر: مطالعة حياة الصالحين في الدنيا

قال تعالىٰ:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل:٩٧].

(١) البخاري (٦٥٠٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن القيم ـ رحمه الله: الحياة الطيبة هي:حَيَاةُ الْقَلْبِ وَنَعِيمُهُ، وَبَهْجَتُهُ وَسُرُورُهُ بِالْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَحَبَّتُهُ، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا حَيَاةَ أَطْيَبُ مِنْ حَيَاةِ صَاحِبِهَا، وَلَا نَعِيمَ فَوْقَ نَعِيمِهِ إِلَّا نَعِيمَ الْجَنَّةِ، كَمَا كَانَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ يَقُولُ: إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ، وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا طَرَبًا.

وَإِذَا كَانَتْ حَيَاةُ الْقَلْبِ حَيَاةً طَيِّبَةً تَبِعَتْهُ حَيَاةُ الْجَوَارِحِ، فَإِنَّهُ مَلِكُهَا، وَلِهَذَا جَعَلَ اللهُ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ، وَهِيَ عَكْسُ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ(١).

قال السعدي ـ رحمه الله:﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [سورة النحل:٩٧]، وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب(٢).

قال إبراهيم ابن أدهم ـ رحمه الله: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالسُّرُورِ لَجَالَدُونَا بِالسُّيُوفِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ عَلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ وَقِلَّةِ التَّعَبِ(٣).

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ تعليقا علىٰ كلام بن أدهم " السابق": ولقد صدق ابن أدهم؛ فإن السلطان إن أكل شيئًا، خاف أن يكون قد طرح له فيه سم، وإن

(١) مدارج السالكين ٣/٢٤٣.
(٢) تفسير الكريم الرحمن ص:٤٤٩.
(٣) الزهد الكبير للبيهقي ص:٨٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نام، خاف أن يغتال، وهو وراء المغاليق، لا يمكنه أن يخرج لفرجة٦؛ فإن خرج، كان منزعجًا من أقرب الخلق إليه، واللذة التي ينالها تبرد عنده، ولا تبقىٰ له لذة مطعم ولا منكح، وكلما استظرف المطاعم، أكثر منها، ففسدت معدته، وكلما استجد الجواري، أكثر منهن، فذهبت قنوته، ولا يكاد يبعد ما بين الوطء والوطء، فلا يجد في الوطء كبير لذة؛ لأن لذة الوطء بقدر بعد ما بين الزمانين، وكذلك لذة الأكل؛ فإن من أكل علىٰ شبع، ووطئ من غير صدق شهوة وقلق؛ لم يجد اللذة التامة التي يجدها الفقير إذا جاع، والعزب إذا وجد امرأة، ثم إن الفقير يرمي نفسه علىٰ الطريق في الليل فينام، ولذة الأمن قد حرمها الأمراء، فلذتهم ناقصة، وحسابهم زائد [1].

وقال: والله، ما أعرف من عاش رفيع القدر بالغًا من اللذات ما لم يبلغ غيره؛ إلا العلماء المخلصين؛ كالحسن وسفيان وأحمد، والعباد المحققين، كمعروف؛ فإن لذة العلم تزيد علىٰ كل لذة، وأما ضرهم إذا جاعوا، أو ابتلوا بأذىٰ، فإن ذلك يزيد في رفعتهم، وكذلك لذة الخلوة والتعبد[2].

قال ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت

---

(١) صيد الخاطر ص:٢٩٩-٣٠٠.

(٢) المرجع السابق ص:٣٠٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة[١].

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ، أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ: مَسَاكِينُ أَهْلِ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا، قَالُوا: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَحَبَّةُ اللهِ، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَىٰ لِقَائِهِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ أَوْ نَحْوُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ[٢].

ولا شك أن من عرف هذا العيش الطيب الذي يعيشه الصالحون لابد أن يشمر عن ساعديه ليسير علىٰ طريقهم،فيبادر بالطاعات ويبتعد عن المحرمات والمنهيات وهذا هو عين التقىٰ،ويجتهد في النوافل والمستحبات وهذا موجب الحفظ من الذنوب والآثام، وبذلك يُعان علىٰ التوبة إلىٰ الله ـ عز وجل.

الخامس عشر: أن يعيش مع اسم الله الغفور والغفار

قال الله ـ تعالىٰ:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [سورة نوح:١٠].

قال تعالىٰ:﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[سورة آل عمران:١٢٩].

---

(١) الوابل الطيب ص:٤٨.

(٢) مدارج السالكين ١/٤٥٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام:١٦٥].

قال تعالىٰ:﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر:٥٣].

قال ابن كثير ـ رحمه الله: هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ دَعْوَةٌ لِجَمِيعِ الْعُصَاةِ مِنَ الْكَفَرَةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَهْمَا كَانَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ وَكَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ نَاسًا، مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ:﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ [سورة الفرقان:٦٨]، وَنَزَلَتْ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة الزمر:٥٣](٢).

فالله هو: الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، والمتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. فالله عز وجل يغفر ذنوب عباده مرة بعد مرة فهو غفور سبحانه.

قال ابن القيم:

وهو الغفور فلو أتىٰ بقرابها ... من غير شرك بل من العصيان

(١) تفسير القرآن العظيم ١٠٦/٧.

(٢) البخاري (٤٨١٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لاقـــــاه بـــــالغفران مـــــلء قربهـــــا سـبحانه هـــو واســـع الإحســـان[١].

فالعبد حينما يعلم أن الله يغفر الذنب بفضله لمن شاء، وأنه يفرح بتوبة عبده إليه يعَظُم رجاء العبد في رحمة الله ـ عز وجل ـ فينظر إلىٰ سعة رحمة الله، ولا يقنط من رحمته أبدا، يعمل الطيب ويرجو القبول، ويعمل السوء بجهالة فيتب من قريب.

السادس عشر: أن يعيش مع اسم اللّه الرحمن والرحيم

قال الله ـ تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٣].

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء:١١٠].

قال تعالىٰ:﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر:٥٣].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " لِلَّهِ مِائَةُ رَحْمَةٍ، عِنْدَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَجَعَلَ عِنْدَكُمْ وَاحِدَةً، تَرَاحَمُونَ بِهَا بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَبَيْنَ الْخَلْقِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ضَمَّهَا إِلَيْهَا "[٢].

---

(١) النونية ص:٢٠٩.

(٢) مسند أحمد (١١٥٣١).قال الشيخ شعيب: إسناده حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعنه ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ"(١).

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ: قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: "أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ" قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: "لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا"(٢).

قال ابن القيم –رحمه الله–: الرحمن دال علىٰ الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال علىٰ تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال علىٰ أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله:﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب:٤٣] ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١١٧]، ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها(٣).

وعلىٰ ما تقدم فالعبد إن علم وعاش مع هذين الاسمين لله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علم أن الذنب مهما عظم فإن الله يغفره إن تاب العبدوأناب؛ لأن من العوائق التي

(١) مسلم (٢٧٥٥).
(٢) البخاري (٥٩٩٩).
(٣) بدائع الفوائد ٢٤/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تحول دون التوبة استكبار الذنب، فكثير من الناس ما يحول بينه وبين أن يتوب إلا أنه يستعظم ذنبه، فيرىٰ أنه قد أوجب النار، وحينئذٍ يعد نفسه من أهل النار وأنه لا تنفعه توبة، فعلمه بسعة رحمة الله للمؤمن في الدنيا ورحمته للمؤمنين في الآخرة تعين علىٰ التوبة بفضل الله.

علامات التوبة المقبولة

التوبة عمل من الأعمال، والأعمال كلها عرضة للقبول وللرد، فما شاء الله قبله من الأعمال، وما شاء رده وهو الغني الحميد، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وبذلك إذا رضي الله توبة من عبده فإنه يتقبلها، ويسمىٰ ذلك القبول توبة في عرف الشرع، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة التوبة:١١٧-١١٨]، فهذه توبة الله علىٰ العبد ليتوب[1].

(١) دروس الشيخ محمد الحسن الشنقيطي الدرس السابع.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن القيم ـ رحمه الله: فَالتَّوْبَةُ الْمَقْبُولَةُ الصَّحِيحَةُ لَهَا عَلَامَاتٌ مِنْهَا:أَنْ يَكُونَ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِمَّا كَانَ قَبْلَهَا.

قلت: كالاستقامة علىٰ الحق والإقبال علىٰ الطاعات، فتجد التائب يستقيم علىٰ الطريق القويم ويُقْبِل علىٰ الله جل جلاله بطاعاته؛ راجيًا المغفرة والأجر والثواب من العلي القدير، فإذا ما شعر التائب بأنَّ إيمانه بعد التوبة أعلىٰ وأقوىٰ مما كان عليه قبل التوبة، وأنَّه مقبلٌ علىٰ الله جل جلاله؛ فهذا دليل علىٰ قَبول توبته.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَزَالُ الْخَوْفُ مُصَاحِبًا لَهُ لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَخَوْفُهُ مُسْتَمِرٌّ إِلَىٰ أَنْ يَسْمَعَ قَوْلَ الرُّسُلِ لِقَبْضِ رُوحِهِ ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [سورة فصلت:٣٠]، فَهُنَاكَ يَزُولُ الْخَوْفُ.

فينبغي لكل أحد أن لا يأمن مكر الله أبدا؛ لأنها علامة خسران والعياذ بالله، فلا يعجب العبد بطاعته ولا بتوبته، فربما يكون ذلك سببا لهلاكه في الدنيا والآخرة.

قال الله ـ عز وجل: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف:٩٩].

عن أنسٍ ﷺ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ أنْ يقولَ: "يا مُقلِّبَ القُلُوبِ ثبِّتْ قلبي علىٰ دِينِكَ"، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، آمنَّا بكَ وبما جِئتَ بهِ فهل تخافُ علينا؟ قالَ: "نَعَم، إنَّ القُلُوبَ بينَ أُصْبُعَينِ من أصابعِ اللهِ يُقلِّبُها كيفَ يَشاءُ"(١).

(١) مسند أحمد (١٣٦٩٦).قال الشيخ شعيب:إسناده صحيح على شرط مسلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ. فَتَلَا مُعَاذٌ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [سورة آل عمران:٨](١).

وعن أبي هريرةَ ﷺأنَّ رسولَ اللهِ ﷺقالَ: "إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزمنَ الطويلَ بعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ، ثُمَّ يُختَمُ لهُ عَمَلُهُ بعمَلِ أهلِ النارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزمنَ الطويلَ بعَمَلِ أهلِ النارِ، ثُمَّ يُختَمُ لهُ عَمَلُهُ بعمَلِ أهلِ الجنَّةِ"(٢).

وَمِنْهَا: انْخِلَاعُ قَلْبِهِ، وَتَقَطُّعُهُ نَدَمًا وَخَوْفًا، وَهَذَا عَلَىٰ قَدْرِ عِظَمِ الْجِنَايَةِ وَصِغَرِهَا، وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ عُيَيْنَةَ ـ رحمه الله ـ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة التوبة:١١٠]. قَالَ: تَقَطُّعُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ مِنَ الْعُقُوبَةِ الْعَظِيمَةِ يُوجِبُ انْصِدَاعَ الْقَلْبِ وَانْخِلَاعَهُ، وَهَذَا هُوَ تَقَطُّعُهُ، وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ، لِأَنَّهُ يَتَقَطَّعُ قَلْبُهُ حَسْرَةً عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَخَوْفًا مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ، فَمَنْ لَمْ يَتَقَطَّعْ قَلْبُهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مَا فَرَّطَ حَسْرَةً وَخَوْفًا، تَقَطَّعَ فِي

(١) الترمذي (٣٥٢٢) وقال: حسن.

(٢) مسلم (٢٦٥١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْآخِرَةِ إِذَا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ، وَعَايَنَ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ، وَعِقَابَ الْعَاصِينَ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقَطُّعِ الْقَلْبِ إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ.

منها: كَسْرَةٌ خَاصَّةٌ تَحْصُلُ لِلْقَلْبِ لَا يُشْبِهُهَا شَيْءٌ، وَلَا تَكُونُ لِغَيْرِ الْمُذْنِبِ، لَا تَحْصُلُ بِجُوعٍ، وَلَا رِيَاضَةٍ، وَلَا حُبٍّ مُجَرَّدٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أَمَرُّ وَرَاءَ هَذَا كُلِّهِ، تَكْسِرُ الْقَلْبَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ كَسْرَةً تَامَّةً، قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، وَأَلْقَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ طَرِيحًا ذَلِيلًا خَاشِعًا، كَحَالِ عَبْدٍ جَانٍ آبِقٍ مِنْ سَيِّدِهِ، فَأُخِذَ فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُنْجِيهِ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ بُدًّا وَلَا عَنْهُ غَنَاءً، وَلَا مِنْهُ مَهْرَبًا، وَعَلِمَ أَنَّ حَيَاتَهُ وَسَعَادَتَهُ وَفَلَاحَهُ وَنَجَاحَهُ فِي رِضَاهُ عَنْهُ، وَقَدْ عَلِمَ إِحَاطَةَ سَيِّدِهِ بِتَفَاصِيلِ جِنَايَاتِهِ، هَذَا مَعَ حُبِّهِ لِسَيِّدِهِ، وَشِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَعِلْمِهِ بِضَعْفِهِ وَعَجْزِهِ وَقُوَّةِ سَيِّدِهِ، وَذُلِّهِ وَعِزِّ سَيِّدِهِ.

فَيَجْتَمِعُ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ كَسْرَةٌ وَذِلَّةٌ وَخُضُوعٌ، مَا أَنْفَعَهَا لِلْعَبْدِ وَمَا أَجْدَىٰ عَائِدَتَهَا عَلَيْهِ. وَمَا أَعْظَمَ جَبْرَهُ بِهَا، وَمَا أَقْرَبَهُ بِهَا مِنْ سَيِّدِهِ. فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَىٰ سَيِّدِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَسْرَةِ، وَالْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ، وَالْإِخْبَاتِ، وَالِانْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالِاسْتِسْلَامِ لَهُ، فَلَلَّهِ مَا أَحْلَىٰ قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ: أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ وَذُلِّي إِلَّا رَحِمْتَنِي، أَسْأَلُكَ بِقُوَّتِكَ وَضَعْفِي، وَبِغِنَاكَ عَنِّي وَفَقْرِي إِلَيْكَ، هَذِهِ نَاصِيَتِي الْكَاذِبَةُ الْخَاطِئَةُ بَيْنَ يَدَيْكَ، عَبِيدُكَ سِوَايَ كَثِيرٌ، وَلَيْسَ لِي سَيِّدٌ سِوَاكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَىٰ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْخَاضِعِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ، سُؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، وَذَلَّ لَكَ قَلْبُهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَـــا مَـــنْ أَلُـــوذُ بِـــهِ فِيمَـــا أُؤَمِّلُـــهُ وَمَـــنْ أَعُـــوذُ بِـــهِ مِمَّـــا أُحَـــاذِرُهُ
لَا يَجْبُـــرُ النَّـــاسُ عَظْمًـــا أَنْـــتَ كَاسِـــرُهُ وَلَا يَهِيضُـــونَ عَظْمًـــا أَنْـــتَ جَـــابِرُهُ

فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنْ آثَارِ التَّوْبَةِ الْمَقْبُولَةِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ فَلْيَتَّهِمْ تَوْبَتَهُ وَلْيَرْجِعْ إِلَىٰ تَصْحِيحِهَا، فَمَا أَصْعَبَ التَّوْبَةَ الصَّحِيحَةَ بِالْحَقِيقَةِ، وَمَا أَسْهَلَهَا بِاللِّسَانِ وَالدَّعْوَىٰ. وَمَا عَالَجَ الصَّادِقُ بِشَيْءٍ أَشَقَّ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ الصَّادِقَةِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ (١).

ومن العلامات أيضا:

١ـ الأثر الذي يجده التائب في حياته من بركةٍ في ماله وأهله وأولاده، وتيسيرٍ له في عمله وشؤونه، هذا بالإضافة إلىٰ الطمأنينة والسكينة اللتين تملآن قلبه.

٢- حب مجالسة الصالحين، فإنَّ التائب يحب أن يجلس مع الصالحين الذين يُذَكِّرونه بالله جل جلاله، ولا يطيق الجلوس مع أصحاب المعاصي ورُفقاء السوء.

٣ـ أن يجعل الله له المحبة والقبولفي قلوب عباده الصالحين، وطيب الذكر بعد توبته. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ: " إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ

(١) مدارج السالكين ١/٢٠٣. ٢٠٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ"[١].

٥ـ الثناء الطيب عليه بعد موته، عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺقال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّﷺ:" وَجَبَتْ "، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَىٰ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ:" وَجَبَتْ "، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ ؟ قَالَ:" هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ"[٢].

الأسباب المانعة للتوبة

إن النفس البشرية تنزع إلىٰ الطبيعة البدنية وتُغْوىٰ باللذات والشهوات الجسمية، والمعاصي تُضعف القلب عن إرادة الخير، وبذا تقوىٰ فيه إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا إلىٰ أن تنسلخ منه بالكلية، والمعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضًا[٣].

ومن الأسباب المانعة والتي تصرف النفس عن التوبة:

تعظيم جانب الرجاء على الخوف من الله

إن بعض المذنبين وكلنا صاحب ذنب، إن كلَّمْتَه ناصحًا أو زاجرًا له عن الآثام رد عليك بأن رحمة الله واسعة وغفرانه يسع الذنوب كلها، ونسي هذا

---

(١) البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٢) البخاري (١٣٦٧)،ومسلم (٩٤٩).

(٣)) التوبة إلى الله:الدكتور صالح السدلان ص:٥٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسكين أن الله - عز وجل - كما أنه واسع المغفرة؛ فهو - تبارك وتعالىٰ - شديد العقاب.. وأنه لا يُرَدُّ بأسه عن القوم المجرمين، وأن هناك نار أعدها الله للمذنبين والظالمين.

قال اللهـ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٩-١٨٠].

قال الله تعالىٰ:﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة يونس:٢٧-٣٠].

وعن النعمان بن بشير ﷺقال: قال رسول اللهﷺ:" "إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ"[1].

(١) البخاري (٦٥٦١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن، وسبب هذا أنه يجب علىٰ المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولا بد له من جميعها، ومن أخل ببعضها فقد أخل ببعض واجبات الإيمان.

والخوف والرجاء، أكثر السلف علىٰ أنهما يستويان، لا يرجح أحدهما علىٰ الآخر، قاله مطرف والحسن وأحمد وغيرهم، ومنهم من رجح الخوف علىٰ الرجاء، وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان الداراني[1].

قال السبكي ـ رحمه الله: إِنَّ تَجْرِيدَ الرَّجَاءِ يُوجِبُ الْجُرْأَةَ وَالْإِقْدَامَ عَلَىٰ الْمَعْصِيَةِ[2].

جاء في مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاوة أن تعصي وترجو أن تنجو، وحال صاحب هذا الرجاء المذموم يشبه حال من يتمنىٰ الأولاد من غير أن يتزوج، فهو من أسفه السفهاء، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢١٨]، والمعنىٰ: أولئك الذين يستحقون أن يرجو، وقال تعالىٰ:﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد السَلامي، الحنبلي ص:٢٥.
(٢) الفتاوى ٢/٥٥٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء:١٢٣].

وبالجملة فإنه يجب علىٰ المسلم أن يعبد الله محبة له، وخوفًا من عقابه، ورجاء لثوابه كما أنه ينبغي له أن لا يفْرِط في الخوف حتىٰ يصل إلىٰ درجة القنوط واليأس من رحمة الله، وأن لا يفرط في الرجاء فيتعلق بسعة رحمة الله مع إصراره علىٰ معصيته، بل يجب أن يجمع بينهما(١).

وهذا هو الرجاء المذموم بأنيحسن العبد الظن بالله مع ترك الواجبات وفعل المحرمات، وهو الأمن من مكر الله(٢).

عن ابن عِباس ﷺقال: لما مات عثمان بن مظعون ﷺقالت امرأةٌ: هنيئًا لك الَجنة عثمان بن مظعون، فنظر رسول الله ﷺإليها نظر غضبانَ، فقال: "وما يدريك؟ "، قالت: يا رسول الله، فارِسُك وصاحبُك، فقال رسول اللهﷺ: "والله إني لرسول الله وما أدري ما يُفَعل بي"(٣).

عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّىٰ أَرَىٰ مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، وَكَانَ إِذَا رَأَىٰ غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ

(١) مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية: الشيخ ابن جبرين ص:٣٦.
(٢) هكذا يكون الصالحون: أبو عبد الملك خالد بن عبد الرحمن ص:١٢.
(٣) مسند أحمد (٢١٢٧). قال الشيخ أحمد شاكر:إسناده صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَىٰ قَوْمٌ العَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا "[1].

التسويف

ومما يحول دون التوبة أن كثيراً من الناس إذا اقترف الذنب حاول تأخير التوبة لغده لملذة ذلك الذنب، أو لتطويل أمل عارض، أو لانشغال عن التوبة بأمر من الأمور، فكثير من الناس ينشغلون، فينشغل تفكيرهم بانشغال أبدانهم وتعطل طاقاتهم بذلك الانشغال، ومن هنا لا يجدون وقتًا للرجوع، ولا للتوبة، ولا للتفكير؛ لأن التوبة لا تكون إلا بعد تفكر وإدراكٍ للمخاطر المترتبة علىٰ عدمها، وإدراك لعظمة من عصيت وخالفت، فكثير من الناس منشغلون عن التفكير في هذا أصلاً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف:١٠٥-١٠٦].

وقد حذَّر الله من ذلك في غير ما آية من كتابه الكريم، كما قال تعالىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة المنافقون:٩].

استصغار الذنب

إن هذه التوبة التي لها هذا العدد وغيره من المزايا العظيمة التي الإنسان بحاجة إليها لا بد أن تكون دونها فتنة، ولا بد أن لا تكون أمراً سهلاً لا يشق علىٰ

(١) البخاري (٤٨٢٨)،مسلم (٨٩٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناس، بل كل الأعمال التي يترتب عليها الأجر الكثير لا بد أن يكون دونها كثير من العوائق،عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: " حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ"(١).

وإن من العوائق الكبرىٰ التي تحول دون التوبة، استصغار الذنب، فكثير من الناس يستصغر ذنبه، فيرىٰ أنه لا يستحق التوبة، وأنه ليس من المفرطين، وهذا دليل علىٰ نفاق في قلبه؛ لأن ذنب المؤمن كجبل فوق رأسه يخاف أن يقع عليه، وذنب المنافق كذباب نزل علىٰ أنفه فنفاه بيده هكذا. ومن هنا فالمؤمن يستعظم ذنبه ولو كان يسيراً؛ لاستشعاره بعظمة من خالفه ومن وقع في معصيته، والمنافق يستصغر ذنبه ولو كان عظيما؛ لعدم استشعاره لهيبة الله ـ سبحانه وتعالىٰ.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺوَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: "إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ" فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ "(٢).

وبعض الناس يرىٰ نفسه علىٰ خير، ويأتيه الشيطان فيجعله يحتقر الذنوب التي يقترفهافيراها قليلة يسيرة هينة لا تستحق أن يتاب منها لذاقَالَ النبي ـ صلى الله عليه وسلم :"إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَىٰ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُهْلِكْنَهُ"، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ

(١) مسلم (٢٨٢٢).

(٢) البخاري (٦٣٠٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّىٰ جَمَعُوا سَوَادًا فَأَجَّجُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا"(١).

وقد قال النبيﷺ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والمغرب"(٢).

وقال النبيﷺ: "دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"(٣).

الجهل

كذلك مما يحول دون التوبة الجهل، فإن كثيراً من الناس يجهل ما أوجب الله عليه وما حرم، ولذلك إذا وقع في الذنب لم يستشعر أنه وقع في معصيته؛ لأنه لم يعرف أن هذا محرم، وإذا أهمل طاعة لم يتب من ذلك؛ لأنه لم يستشعر أنه ترك واجبًا، مثلتحليل الموسيقىٰ والربا والاختلاط، وتحريم ختان الإناث والنقاب وغير ذلك.

ومما يعين علىٰ الجهل علماء السوء الذين يبيحون للإنسان ما حرم الله عليه فيطيعهم بذلك اتباعاً للهوىٰ(٤).

---

(١) مسند أحمد(٣١١٨). قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

(٢) البخاري (٦٤٧٧)،مسلم (٢٩٨٨).

(٣) البخاري (٣٣١٨)،مسلم (٢٦١٩).

(٤) دروس الشيخ محمد الحسن الشنقيطي درس(٢١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التعلل بالهداية

ومما يتعلل به البعض عندما يُنصح بالتوبة أن يقول: أتوب عندما يهديني الله تعالىٰ. وهذا خطأ جسيم وظلم عظيم في حق الرب الحكيم جل جلاله، لأن الله تعالىٰ قد هدانا وبين لنا السبيل، وإلا كيف نتوقع أن يعاقب أهل الكفر وأهل المعاصي وهو لم يقم عليهم الحجة بالهداية؟ والله تعالىٰ هدىٰ الناس بالفطرة التي هي الميل إلىٰ الحق والإسلام، وبالعقل المميز بين الخير والشر وبين الحسن والقبيح، وبالرسل الذي أرسل للناس، وهداهم بالكتب المنزلة والآيات المتلوة، وهداهم بالآيات المشهودة في الكون، وبحملة هذا الدين ورثة سيد المرسلين ﷺ، ثم أنت أيها المحتج قد فضلك الله فجعلك من أمة خاتم النبيين ﷺ، فأي هداية أعظم من أن تولد بين المسلمين؟. وأنت أيها المحتج. قد هداك الله بنصيحة هذا الناصح، إذن فقد هداك الله بطرق كثيرة؛ الهداية التي يسميها العلماء هداية البيان والدلالة والتي بها تقوم عليك الحجة وينقطع عذرك عند الله تعالىٰ.

ومن كان يريد هداية التوفيق والتثبيت وتزيين الإيمان في القلوب؛ مثل ما هدىٰ الله أنبياءه وخيار عباده، فيقال له: إن هذه الهداية منحة وجائزة لا ينالها كل أحد، ولكن ينالها من استجاب لنداء الله عز وجل واستقام واتبع الهداية الأولىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [سورة مريم:٧٦]، ولكي يزيد هذا المعنىٰ وضوحا نقول: هل القرآن هدىٰ للناس جميعا أم هدىٰ للمتقين فقط؟ كلاهما وصف به القرآن، وكلاهما صحيح، فالقرآن كتاب هداية للناس جميعا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للمسلم والكافر يعني أن من قرأه وفهمه تقوم عليه الحجة ويعرف الخير من الشر ويتبين له الحق من الباطل، ثم يؤمن به طائفة من الناس فيبحثون عن معانيه ويجتهدون في العمل بأحكامه فيزدادون هداية وهذه الهداية الزائدة خاصة بالمتقين، فمن أراد هذا النوع من الهداية فعليه أولا أن يخلص في التوبة والرجوع إلىٰ الله تعالىٰ[1].

قرناء السوء

كما أن مصاحبة الأخيار والصالحين تعين علىٰ التوبة وتبصر للعاصي طريق الحق،كذلك مما يحول بين الإنسان وبين التوبة أن كثيراً من الناس يسلط الله عليه قرناء السوء فيحولون بينه وبين الخير، فيشجعونه علىٰ المعصية والاستمرار عليها، بل إذا رأوه منكسراً تائبًا حاولوا تعييره ليتجلد علىٰ معصيته، نسأل الله السلامة والعافية، وهؤلاء ستقام العداوة بينهم يوم القيامة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [سورة الفرقان:٢٧-٢٩]، وقال تعالىٰ:﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف:٦٧].

وكثير من الناس يأخذ هؤلاء القرناء جل وقته وجل اهتمامه، ولا يكاد يوفق

(١) عوائق الاستقامة وموانع التوبة: الدكتور محمد حاج عيسى الجزائري.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لطاعة في حضرتهم، بل لا يوفق له من الطاعات إلا ما استرقه استراقاً من هؤلاء.

الاحتجاج بالقدر

وربما يقول بعضهم إن الله قدر لي أن أكون عاصيا غير تائب، منحرفا غير مستقيم، وهذا هو الاحتجاج بالقدر علىٰ الذنوب والمعاصي.

وهذا غير جائز بل سوء اعتقاد في الله تعالىٰ، فإنّ قَدَرَ الله تعالىٰ أمر غيبي لا نعلمه إلا بعد وقوع الأعمال والأقوال، فكيف يكون حجة عليها؟ وكما يحتج العاصي علىٰ معصيته يحتج الكافر علىٰ كفره، فيبطل الدين والتكليف وينسب رب العزة جل جلاله إلىٰ الظلم وإلىٰ العبث، تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: وَلِهَذَا قَالَ آدَمَ لِمُوسَىٰ: أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَحَجَّ آدَمَ مُوسَىٰ؛ لِأَنَّ مُوسَىٰ قَالَ لَهُ: لِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنْ الْجَنَّةِ فَلَامَهُ عَلَىٰ الْمُصِيبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ بِسَبَبِ فِعْلِهِ لَا لِأَجْلِ كَوْنِهَا ذَنْبًا وَلِهَذَا احْتَجَّ عَلَيْهِ آدَمَ بِالْقَدَرِ وَأَمَّا كَوْنُهُ لِأَجْلِ الذَّنْبِ كَمَا يَظُنُّهُ طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ فَلَيْسَ مُرَادًا بِالْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَدْ تَابَ مِنْ الذَّنْبِ وَالتَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَلَا يَجُوزُ لَوْمُ التَّائِبِ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ. وليس لأحد أن يحتج بالقدر علىٰ الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولا؛ لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد ويحتج بالقدر. ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه ويتناقض، وتناقض القول يدل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علىٰ فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول[١].

ويقال لمن يقول إذا قدر لي ربي التوبة فسأتوب وإلا فلا معنىٰ للتوبة إذن، إذا مرضت فلا تشرب الدواء، فإن الله إذا قدر لك الشفاء فسوف تشفىٰ وإلا فلن ينفعك الدواء، وإن هاجمك سبع فلا تفر فإنه إن قدر لك النجاة ستنجو وإلا لم ينفعك الفرار، بل إذا أردت أن يرزقك الله الولد فلا تتزوج، فإن الله إن قدر رزقك بالأولاد فسوف يأتونك.

وهذا الكلام في حقيقة الأمر من وسوسة الشيطان، بل هو سنة سنها إبليس حين قال: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [سورة الأعراف:١٦]، وهو دليل بعض المشركين كما أخبر ربنا سبحانه:﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام:١٤٨].

الانشغال بالدنيا

وليس المقصود بذلك العمل والكد من أجل أن يحفظ الإنسان نفسه من السؤال، وأن يحفظ أهل بيته ومن يعول. فالشرع لم ينه عن طلب خير الدنيا، أو السعي فيه.

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/١٧٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص:٧٧].

قال ابن كثير ـ رحمه الله: أي اسْتَعْمِلْ مَا وَهَبَكَ اللهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَالنِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثواب في الدنيا والآخرة وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا أَيْ مِمَّا أَبَاحَ اللهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاكِحِ، فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْرِكِ عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ (١).

وعنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا(٢).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، وَمَا هُوَ إِلَّا أَنَا وَأُمِّي وَأُمُّ حَرَامٍ

(١) تفسير ابن كثير ٦/٢٢٨.

(٢) مسند أحمد (٢٥١٣٧). إسناده صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خَالَتِي، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ لَنَا:" أَلَا أُصَلِّي بِكُمْ؟ وَذَاكَ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: فَأَيْنَ جَعَلَ أَنَسًا مِنْهُ؟ فَقَالَ: جَعَلَهُ عَنْ يَمِينِهِ؟ ثُمَّ صَلَّىٰ بِنَا، ثُمَّ دَعَا لَنَا - أَهْلَ الْبَيْتِ - بِكُلِّ خَيْرٍ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا رَسُولَ اللهِ، خُوَيْدِمُكَ، ادْعُ اللهَ لَهُ، فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، كَانَ فِي آخِرِ دُعَائِهِ أَنْ قَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ[1].

إنما المنهي عنه، والمذموم في حال العبد: ألا يكون له هم، ولا شغل بالآخرة، ولا سعي إليها، ولا رغبة فيها، وإنما همه، وشغله، ودعاؤه: الدنيا وما فيها.

قال الله تعالىٰ:﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:"مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ

(١) صحيح الأدب المفرد (٨٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَاغِمَةٌ "[١].

فبعض الناس إن نصحته بالصلاة تحجج بكثرة الشواغل بدعوىٰ أن العمل عبادة يؤجر عليها الإنسان، وقد قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، وبعضهم إن نصحته بترك الأكل من الحرام تحجج بضيق العيش،وقد قال رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ:" لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ الْعَبْدُ حَتَّىٰ يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطلب: أخذ الحلال وترك الحرام"[٢].

(١) ابن ماجة (٤١٠٥).إسناده صحيح.

(٢) الحاكم (٢١٣٤)، ابن حبان (٣٢٣٩). قال الحاكم:هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

آيات التوبة من القرآن الكريم

قال تعالى:﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[سورة النساء:١٨].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة:١٠٤-١٠٥].

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:١١٧].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النساء:٢٦].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة التوبة:١٢٦].

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة:١٠٢-١٠٤].

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [سورة التوبة:١١٧-١١٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة التحريم:٨].

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة:١١٢].

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [سورة النصر:٣].

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة غافر:٣].

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [سورة هود:٣]

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود:٥٢].

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المائدة:٧٤].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٢٧].

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [سورة هود:٩٠].

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [سورة القصص:٦٧].

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [سورة الفرقان:٧١].

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [سورة مريم:٦٠].

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور:٣١].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٠].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٢].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:١٤٦].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الشورى:٢٥].

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:١٨١]

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان:٧٠].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل:١١٩].

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأعراف:١٥٣].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٢٧]

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَظِيمًا﴾ [سورة النساء:٢٧].

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المائدة:٣٩].

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة الأنعام:٥٤].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأحاديث الواردة في التوبة

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيُّها الناسُ تُوبُوا إلىٰ الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة"(١).

وعنهقال: إن كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: "ربِّ اغْفِرْ لي، وتُبْ عليَّ. إنَّك أنت التوَّابُ الرَّحيم"(٢).

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيدِهِ، لو لم تُذنِبُوا لذَهَبَ اللهُ بكم، ولَجَاءَ بقُومٍ يُذنِبون فيستغفِرون اللهَ، فيغْفِر لهم "(٣).

عن شدَّاد بن أوس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "سَيِّدُ الاستغفار أن تقول: اللهُمَّ أنت ربِّي، لا إله إلا أنت، خلقْتَني وأنا عَبْدُكَ، وأنا علىٰ عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما استطعْتُ، أعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عليَّ، وأبُوءُ لَكَ بذَنْبي فاغْفِرْ لي. فإنَّه لا يغفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنت"، قال: "ومَنْ قالها من النهار مُوقِنًا بها، فمات من يومِه قبل أن يُمْسي، فهو من أهل الجنة، ومَن قالها من الليل وهو موقِنٌ بها، فمات قبل أن يُصبِح، فهو من أهل الجنة"(٤).

عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك

---

(١) مسلم (٢٧٠٢).

(٢) أبو داود (١٥١٦)،السنن الكبرى (٩٨٥٢)، ابن ماجة(٣٨١٤). صححه الألباني.

(٣) مسلم (٢٧٤٩).

(٤) البخاري (٦٣٠١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتعالىٰ: "يا بنَ آدمَ، إنكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لكَ علىٰ ما كان فيك ولا أُبالي، يا بن آدم، لو بلَغَتْ ذُنوبُكَ عنانَ السماء، ثمَّ استغفرتَني غفَرْتُ لَكَ ولا أُبالي، يا بن آدَمَ، إنَّكَ لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا، لأتيتُكَ بقُرابها مَغْفِرةً"(١).

عن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربِّه عز وجل قال: "أذْنَبَ عبْدٌ ذَنْبًا، فقال: اللهم اغْفِرْ لي ذنبي، فقال تبارك وتعالىٰ: أذْنَبَ عَبْدي ذَنْبًا، فعلِمَ أنَّ له ربًّا يغفِر الذَّنْبَ، ويأخُذ بالذَّنْب، ثم عاد فأذْنَبَ، فقال: أي رب، اغْفِرْ لي ذَنْبي، فقال تبارك وتعالىٰ: عبدي أذْنَبَ ذَنْبًا، فعلِمَ أنَّ له ربًّا يغفِرُ الذَّنْبَ، ويأخُذُ بالذَّنْب، ثم عاد فأذْنَبَ، فقال: أي رب، اغْفِرْ لي ذنبي، فقال تبارك وتعالىٰ: أذْنَبَ عبدي ذَنْبًا، فعَلِمَ أنَّ له ربًّا يغْفِرُ الذَّنْبَ، ويأخُذ بالذَّنْب، اعمَلْ ما شِئتَ. فقد غفَرْتُ لَكَ"(٢).

وعنهقال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ جَلَسَ في مجلِسٍ، فكثُر فيه لَغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ، إلَّا غَفَرَ له ما كان في مجلِسِه ذلك"(٣).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تابَ قبل أن تطلُعَ الشمسُ من مَغْرِبها، تاب اللهُ عليه"(٤).

---

(١) الترمذي(٣٥٤٠)،مسند البزار(٦٧٦٠).قال الترمذي:حسن.

(٢) البخاري(٧٥٠٧)، مسلم(٢٧٥٨).

(٣) الترمذي(٣٤٣٣).قال: حسن صحيح.

(٤) مسلم(٢٧٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: "لو أنَّ لابن آدَمَ واديًا من ذَهَبٍ أحَبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأَ فاهُ إلَّا التُّرابُ، ويتوب الله علىٰ مَنْ تاب"(١).

عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺعن النبي ﷺ، قال: "إن الله عز وجل يبسُط يدَه بالليل. ليتُوبَ مُسيءُ النهار، ويبسُط يدَهُ بالنهار. ليتُوبَ مُسيءُ الليل، حتىٰ تطلُعَ الشمسُ من مَغْرِبها"(٢).

عن أنس بن مالكﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "للهُ أشَدُّ فَرَحًا بتوبة عبده حين يتُوبُ إليه مِنْ أحدِكم كان علىٰ راحلته بأرض فلاةٍ، فانفلتَتْ منه، وعليها طعامُه وشرابُه، فأَيِسَ منها، فأتىٰ شجرةً فاضطجع في ظِلِّها، قد أيِسَ من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخِطامِها، ثم قال من شدَّة الفَرَح: اللهُمَّ أنت عَبْدي وأنا ربُّكَ، أخطأ من شدَّة الفَرَح"(٣).

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يضحَكُ الله إلىٰ رجلين يقتُل أحدُهما الآخَرَ، كلاهما يدخُل الجنة"، فقالوا: كيف يا رسول الله، قال: "يُقاتِل هذا في سبيل الله عز وجل فيستشهد، ثم يتوب الله علىٰ القاتل، فيُسلِم، فيُقاتِل في سبيل

(١) البخاري (٦٤٣٩).
(٢) مسلم(٢٧٥٩).
(٣) مسلم(٢٧٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله عز وجل فيستشهد"[١].

عن بن عباس ﷺ قال: "كان رجلٌ من الأنصار أسلَمَ ثمَّ ارتدَّ ولحِقَ بالشِّرْك، ثم تندَّم فأرسَل إلىٰ قومه: سَلُوا لي رسول الله ﷺ: هل لي من توبةٍ؟ فجاء قومُه إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: إن فلانًا قد ندِم، وإنَّه أمَرَنا أن نسألَكَ: هل له من توبة، فنزلت:﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:٨٦-٨٩] ، فأرسَل إليه فأسلَم"[٢].

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "كُلُّ ابن آدَمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ الخطائين التَّوَّابون"[٣].

عن عبدالله بن عمر ﷺعن النبي ﷺ، قال: "إن اللهَ يقبَلُ توبة العَبْدِ ما لم يُغَرْغِرْ"[٤].

أقوال السلف في التوبة الصادقة

(١) مسلم (١٨٩٠).

(٢) المستدرك (٨٠٩٢) قال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٣) المصنف (٤٢١٦)،والترمذي (٢٤٩٩)، والمستدرك (٧٦١٧).قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألباني:حسن.

(٤) مسند أحمد (٦١٦٠)، الترمذي(٣٥٣٧).قال الترمذي :حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

روىٰ ابن جرير الطبري عن النعمان بن بشير ﷺقال: سُئِل عمر ﷺعن التوبة النَّصُوح، قال: "التوبة النصوح: أن يتوبَ الرجلُ من العمل السيِّئ، ثم لا يعود إليه أبدًا"(١).

قال أنس بن مالك ﷺ: التوبة النصوح: أن يكون لصاحبها دمعٌ مَسفوحٌ، وقلب عن المعاصي جموح(٢).

وقال ابن عباس ﷺ: التوبة النصوح تُكَفِّر كل سيئة(٣).

سُئِل الحسنُ البصري عن التوبة النَّصُوح، فقال: "نَدَمٌ بالقلب، واستغفارٌ باللِّسان، وتركٌ بالجوارح، وإضمارٌ ألَّا يعود"(٤).

قال سعيد بن جبير: "التوبة النصوح: هي التوبة المقبولة، ولا تُقبَل ما لم يكُنْ فيها ثلاثة شروط: خوف ألَّا تُقبَل، ورجاء أن تُقبَل، وإدمان الطاعات".

قال سعيد بن المسيب: "التوبة النَّصُوح: توبة تنصحون بها أنفسَكم"(٥).

قال قتادة: "التوبة النَّصُوح: هي التوبة الصادقة الناصحة"(٦).

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/٤٩٤. مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٨. دار الكتب المصرية – القاهرة،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

(٣) أحكام القرآن لأبي الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيري البصري المالكي ٢/٦٠٣.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٤ / ٣١١دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٨.

(٦) تفسير الطبري ٢٣/٤٩٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال محمد بن كعب القرظي: "التوبة النَّصُوح يجمعُها أربعةُ أشياء: الاستغفارُ باللِّسان، وإقلاعٌ بالأبدان، وإضمارُ تَرْكِ العَوْدِ بالجَنان، ومهاجرة سيِّئ الخِلَّان".

قال الفضيل بن عياض: "التوبة النَّصُوح: أن يكون الذَّنْبُ بين عينيه، فلا يزال كأنه ينظُر إليه".

قال أبو بكر الدَّقَّاق المصري: "التوبة النصوح: هي ردُّ المظالم، واستحلال الخُصُوم، وإدمان الطاعات".

قال ابن السماك: "التوبة النَّصُوح: أن تنصب الذنب الذي أقللتَ فيه الحياء مِن الله أمامَ عينك، وتَستعد لمنتظرك".

قال شقيق البلخي: "التوبة النَّصُوح: أن يُكثِر صاحبُها لنفسِه الملامةَ، ولا ينفَكُّ من الندامة؛ لينجوَ من آفاتها بالسلامة".

قال الجنيد: "التوبة النَّصُوح: هو أن ينسىٰ الذَّنْبَ، فلا يذكُره أبدًا. لأنَّ من صحَّت توبتُه صار محبًّا لله، ومَنْ أحبَّ الله نسِي ما دون الله".

قَالَ سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ:" لَا تَصْلُحُ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ إِلَّا بِنَصِيحَةِ النَّفْسِ والمؤمنين، لان من صحب تَوْبَتُهُ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ مِثْلَهُ".

وَقَالَ ذُو النُّونِ: عَلَامَةُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ ثَلَاثٌ: قِلَّةُ الْكَلَامِ، وَقِلَّةُ الطَّعَامِ، وَقِلَّةُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْمَنَامِ"[١].

حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ، عَنِ الشِّعْبِيِّ قَالَ: " التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٢][٢].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: " جَالِسُوا التَّوَّابِينَ فَإِنَّهُمْ أَرَقُّ شَيْءٍ أَفْئِدَةً"[٣].

التوبة عند الأمم السابقة

١ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺعن رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ. قال: "بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ إِذْ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ فِي غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ بَابَ الْغَارِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً فَادْعُوهُ بِهَا فَدَعَوُا اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَةٌ وَصِبْيَانٌ فَكُنْتُ أَرْعَىٰ عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ إِلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَإِنَّهُ نَأَىٰ بِي طَلَبُ الشَّجَرِ فَلَمْ آتِ حَتَّىٰ أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أحلب فجئت فقمت عند رؤوسهما أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا فَجَعَلُوا يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّىٰ طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَىٰ مِنْهَا

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٨.

(٢) الزهد لوكيع ص:٥٤٢.

(٣) المرجع السابق ص:٥٤٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السَّمَاءَ فَفَرَّجَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ فُرْجَةً. فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّىٰ آتِيهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ. اتَّقِ اللهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَىٰ مِنْهَا السَّمَاءَ. فَفَرَّجَ اللهُ لَهُمْ فُرْجَةً. وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ. إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا فَلَمَّا قَضَىٰ عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَتَرَكَهُ وَرَغِبَ عَنْهُ فَثَمَّرْتُهُ حَتَّىٰ اشْتَرَيْتُ بِهِ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلا تَظْلِمْنِي حَقِّي فَقُلْتُ: انْطَلِقْ فَخُذْ تِلْكَ وَرِعَاءَهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ ولا تستهزئ بي فقلت: إني لا أستهزئ بِكَ فَخُذْ تِلْكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافرج لنا ما بقي. ففرجها الله عنهم"[1].

٢- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أَبَا مُوسَىٰ الْوَفَاةُ، قَالَ: يَا بَنِيَّ، اُذْكُرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ أَرَاهُ، قَالَ: سَبْعِينَ سَنَةً، لاَ يَنْزِلُ إِلاَّ فِي يَوْمِ أَحَدٍ، قَالَ: فَنَزَلَ فِي يَوْمِ أَحَدٍ، قَالَ: فَشُبِّهَ، أَوْ شَبَّ الشَّيْطَانُ فِي عَيْنِهِ امْرَأَةً، فَكَانَ مَعَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ، قَالَ: ثُمَّ كُشِفَ عَنِ الرَّجُلِ غِطَاؤُهُ فَخَرَجَ تَائِبًا، فَكَانَ كُلَّمَا خَطَا خُطْوَةً صَلَّىٰ وَسَجَدَ، قَالَ: فَآوَاهُ اللَّيْلُ إِلَىٰ دُكَّانٍ عَلَيْهِ اثْنَا عَشَرَ مِسْكِينًا، فَأَدْرَكَهُ الإِعْيَاءَ، فَرَمَىٰ بِنَفْسِهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ.

وَكَانَ ثَمَّ رَاهِبٌ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ كُلَّ لَيْلَةٍ بِأَرْغِفَةٍ، فَيُعْطِي كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، فَجَاءَ

(١) البخاري ٢٢١٥، مسلم ٢٧٤٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صَاحِبُ الرَّغِيفِ فَأَعْطَىٰ كُلَّ إِنْسَانٍ رَغِيفًا، وَمَرَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الَّذِي خَرَجَ تَائِبًا، فَظَنَّ أَنَّهُ مِسْكِينٌ فَأَعْطَاهُ رَغِيفًا، فَقَالَ الْمَتْرُوكُ لِصَاحِبِ الرَّغِيفِ: مَا لَكَ لَمْ تُعْطِنِي رَغِيفِي ؟ مَا كَانَ إِلَيَّ عَنْهُ غِنًىٰ، قَالَ: تُرَانِي أُمْسِكُهُ عَنْك ؟ سَلْ: هَلْ أَعْطَيْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ رَغِيفَيْنِ ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: إِنِّي أَمْسِكُ عَنْك، وَاللهِ لاَ أُعْطِيك شَيْئًا اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَعَمَدَ التَّائِبُ إِلَىٰ الرَّغِيفِ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ الرَّجُلِ الَّذِي تُرِكَ، فَأَصْبَحَ التَّائِبُ مَيِّتًا، قَالَ: فَوُزِنَتِ السَّبْعُونَ سَنَةً بِالسَّبْعِ اللَّيَالِي فَلَمْ تَزِنْ، قَالَ: فَوُزِنَ الرَّغِيفُ بِالسَّبْعِ اللَّيَالِي، قَالَ: فَرَجَحَ الرَّغِيفُ، فَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ: يَا بَنِيَّ اُذْكُرُوا صَاحِبَ الرَّغِيفِ"[1].

٣ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّىٰ عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" كَانَ الكِفْلُ مِنْ بني إسرائيل لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَىٰ أَنْ يَطَأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَأَكْرَهْتُكِ؟ قَالَتْ: لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الحَاجَةُ، فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ؟ اذْهَبِي فَهِيَ لَكِ، وَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَعْصِي اللهَ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَىٰ بَابِهِ، إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ"[2].

التوبة عند الصحابة ـ رضي الله عنهم.

(١) المصنف (٣٤٢١٢) صححه ابن رجب في جامع العلوم والحكم١/٤٣٦.

(٢) سنن الترمذي (٢٤٩٦). وقال حسن.وقال الحاكم: حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. قال الذهبي: صحيح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخبر الله ـ عز وجل ـ عن طهارة الصحابة واختياره لهم فمن ذلك قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠]، وقوله:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح:١٨]، وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [سورة التوبة:١٠٠] إلىٰ آخر الآية وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة الأنفال:٦٤]، وقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [سورة الحشر:٨] إلىٰ قوله: ﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر:١٠].

فالصحابة ﷺ بشر من البشر، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، وهم خير القرون، وكلهم ثقات عدول بإجماع المسلمين.

قال أبو محمد بن حزم ـ رحمه الله:

الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا، قال الله تعالىٰ:﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [سورة الحديد:١٠] إلىٰ قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الحديد:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الأنبياء:١٠١]، فثبت أن الجميع من أهل الجنة "[1].

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار٢ /٢٤٥. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورغم ذلك إلا أنهم عير معصومين من الوقوع في الخطأ، إذا أذنب أحدهم تاب إلىٰ الله ـ عز وجل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "الصحابة يقع من أحدهم هنات، ولهم ذنوب، وليسوا معصومين، لكنهم لا يتعمدون الكذب، ولم يتعمد أحد الكذب علىٰ النبي – ﷺ – إلا هتك الله ستره"(١).

والتوبة في حق الصحابة كانت تتميز بصفات وهي:

التوبة من قريب: فلم يكن هناك إصرار علىٰ المعصية عند الصحابة، فإذا ضعف الصحابي فارتكب ذنباً رجع سريعاً وعاد إلىٰ رشده وتاب إلىٰ الله عز وجل، وهذا كان مما يوجب لهم المغفرة الكاملة من الله عز وجل.

عدم تبرير الذنب: الصحابة لم يكونوا كذلك، أي: لم يكونوا يجادلون في ذنوبهم أبداً، ولم يكونوا يبررون معاصيهم، إلا بالتبرير الذي كانوا يعتقدونه أحياناً، لكن لو ظهر لهم الحق اتبعوه مباشرة دون تردد، والصحابة كانوا يرحبون بمن يهدي لهم عيوبهم، ويجلون من يوضح لهم أخطاءهم، فخير أن يبصرك أي إنسان بعيبك وذنبك، فيكون عندك لتتوب من الذنب، بدل أن تستمر فيه اليوم والاثنين والشهر والشهرين، بل والعمر كله، فكان الأفضل والأحسن النصح بالتوبة، أمَّا أن كل إنسان يترك الآخر علىٰ هواه إلىٰ أن يلقىٰ العقاب من الله عز

(١) منهاج السنة٢/٤٥٧ . ٤٥٦ . الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجل فخطأ، لأنه ربما قد يموت وليس هناك وقت للرجعة فيتوب[١].

تعظيم الذنب وإن صغر: وهذا عكس ما يفعله كثير من الناس، فمعظم الناس تهون الذنب مهما عظم، لكن الصحابة كانوا يعظمون الذنب مهما صغر. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ، قَالَ: "إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ" فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ "[٢].

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: "إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: "يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ"[٣].

عدم القنوط من رحمة الله تعالى: فالصحابة ﷺ هم أدق الناس فهما، وأصفاهم قلبا، ما كانوا يرون ذنبًامهما عظم لا تصلح فيه التوبة، ولم يكن عندهم قنوط أبداً من التوبة؛ وكيف ذلك وهم الذين تابعوا آيات القرآن وهي تنزل علىٰ النبي ﷺ بل وعاينوا كثيرا من المواقف التي بُيِّن فيها أن التوبة مقبولة من الله ـ عز وجل ـ مهما عَظُم الذنب.

---

(١) الصحابة والتوبة للدكتور راغب السرجاني (تفريغات نصية لسلسة كن صحابيا).

(٢) صحيح البخاري(٦٣٠٨).

(٣) صحيح البخاري(٦٤٩٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الله تعالىٰ:﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر:٥٣].

وقال: ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [سورة الأنفال:٣٨].

صدقهم في التوبة: علم الصحابة ﷺعظم مقدار الصدق، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، فما أنجىٰ الله من أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب، فاستجابوا لأمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة: ١١٩)وقد قسم سبحانه الخلق إلىٰ قسمين: سعداء، وأشقياء. فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب، وهو تقسيم حاصر مطرد منعكس. فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق، والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب. وأخبر سبحانه وتعالىٰ: أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم. وليكن أول قصة نتعرض لها في التوبة عند الصحابة ما يبين جليا أهمية الصدق وهي:

قصة كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قال:" لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا حَتَّىٰ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ إِلا بَدْرًا وَلَمْ يُعَاتِبِ النَّبِيُّ ﷺ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ إِنَّمَا خَرَجَ يُرِيدُ الْعِيرَ فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مُغَوِّثِينَ لِعِيرِهِمْ فَالْتَقَوْا عَلَىٰ غَيْرِ مَوْعِدٍ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ. وَلَعَمْرِي إِنَّ أَشْرَفَ مَشَاهِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ لَبَدْرٌ وَمَا أُحِبُّ أَنِّي كُنْتُ شَهِدْتُهَا مَكَانَ بَيْعَتِي لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَيْثُ تَوَاثَقْنَا عَلَىٰ الإِسْلامِ.

ثُمَّ لَمْ أَتَخَلَّفْ بَعْدُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ وَهِيَ آخِرُ غَزَاةٍ غَزَاهَا وَآذَنَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ بِالرَّحِيلِ وَأَرَادَ أَنْ يَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ وَذَلِكَ حِينَ طَابَتِ الظِّلالُ وَطَابَتِ الثِّمَارُ وَكَانَ قَلَّمَا أَرَادَ غَزْوَةً إِلا وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا وَكَانَ يَقُولُ: "الْحَرْبُ خَدْعَةٌ" إِلا غَزْوَةَ تَبُوكَ فَإِنَّهُ جَلَّىٰ لِلنَّاسِ أَمْرَهُمْ فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنْ يَتَأَهَّبَ النَّاسُ أُهْبَتَهُ وَأَنَا أَيْسَرُ مَا كُنْتُ قَدْ جَمَعْتُ رَاحِلَتَيْنِ وَأَنَا أَقْدَرُ شَيْءٍ فِي نَفْسِي عَلَىٰ الْجِهَادِ وَخِفَّةِ الْحَاذِ وَأَنَا فِي ذَلِكَ أُصْغِي إِلَىٰ الظِّلالِ وَطِيبِ الثِّمَارِ. فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَادِيًا بِالْغَدَاةِ وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسَ فَأَصْبَحَ غَادِيًا فَقُلْتُ: أَنْطَلِقُ غَدًا إِلَىٰ السُّوقِ فَأَشْتَرِي جَهَازِي ثُمَّ أَلْحَقُ بِهِمْ فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ السُّوقِ مِنَ الْغَدِ فَعَسُرَ عَلَيَّ بَعْضُ شَأْنِي فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: أَرْجِعُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ فَأَلْحَقُ بِهِمْ فَعَسُرَ عَلَيَّ بَعْضُ شَأْنِي أَيْضًا فَقُلْتُ: أَرْجِعُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ أُلْبِسَ بِي الذَّنْبُ وَتَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ وَأَطُوفُ بِالْمَدِينَةِ فَيُحْزِنُنِي أَنِّي لا أَرَىٰ أَحَدًا تَخَلَّفَ إِلا رَجُلا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ وَكَانَ لَيْسَ أَحَدٌ تَخَلَّفَ إِلا رَأَىٰ أَنَّ ذَلِكَ سَيُخْفَىٰ لَهُ وَكَانَ النَّاسُ كَثِيرًا لا يَجْمَعُهُمْ دِيوَانٌ وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيُّ ﷺ بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلا. وَلَمْ يَذْكُرْنِي النَّبِيُّ ﷺ حتىٰ بلغ تبوكـًا قَالَ: "مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟ " قَالَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي: خَلَّفَهُ يَا رَسُولَ اللهِ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ. وَاللهِ يَا نَبِيَّ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلا خَيْرًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذَا هُمْ بِرَجُلٍ يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ" فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ. فَلَمَّا قَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ وَقَفَلَ وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلْتُ أَتَذَكَّرُ بِمَاذَا أَخْرُجُ بِهِ مِنْ سَخَطِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَسْتَعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي حَتَّىٰ إِذَا قِيلَ: النَّبِيُّ ﷺ هُوَ مُصْبِحُكُمْ غَدًا بِالْغَدَاةِ زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لا أَنْجُو إِلا بِالصِّدْقِ. فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ ضُحًىٰ فَصَلَّىٰ فِي الْمَسْجِدِ - وَكَانَ إِذَا جَاءَ مِنْ سَفَرٍ فَعَلَ ذَلِكَ: دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّىٰ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فَجَعَلَ يَأْتِيهِ مَنْ تَخَلَّفَ فَيَحْلِفُونَ لَهُ وَيَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَيَقْبَلُ عَلانِيَتَهُمْ وَيَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فَلَمَّا رَآنِي تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ فَجِئْتُ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: "أَلَمْ تَكُنِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟ " فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا نَبِيَّ اللهِ قَالَ: "فَمَا خَلَّفَكَ؟ " فَقُلْتُ: وَاللهِ لَوْ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِكَ جَلَسْتُ لَخَرَجْتُ مِنْ سَخَطِهِ عَلَيَّ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُوتِيتُ جَدَلًا وَلَكِنْ قَدْ عَلِمْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ أَنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكَ الْيَوْمَ بِقَوْلٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ وَهُوَ حَقٌّ فَإِنِّي أَرْجُو فِيهِ عُقْبَىٰ اللهِ وَإِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثًا تَرْضَىٰ عَنِّي فِيهِ وَهُوَ كَذِبٌ أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يُطْلِعَكَ عَلَيَّ وَاللهِ يَا نَبِيَّ اللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَيْسَرَ وَلا أَخَفَّ حَاذًا مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ.

قَالَ: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَكُمُ الْحَدِيثَ فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ". فَقُمْتُ فَثَارَ عَلَىٰ إِثْرِي أُنَاسٌ مِنْ قَوْمِي يُؤَنِّبُونَنِي فَقَالُوا: وَاللهِ مَا نَعْلَمُكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَطُّ قَبْلَ هَذَا فَهَلا اعْتَذَرْتَ إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ بِعُذْرٍ يَرْضَىٰ عَنْكَ فِيهِ. وَكَانَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَيَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذَنْبِكَ وَلَمْ تُقِفْ نَفْسَكَ مَوْقِفًا لا تَدْرِي مَاذَا يُقْضَىٰ لَكَ فِيهِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَلَمْ يَزَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّىٰ هَمَمْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي. فَقُلْتُ هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ غَيْرِي؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَهُ هِلالُ بْنُ أُمَيَّةَ وَمَرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فَذَكَرُوا رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا لِي فِيهِمَا أُسْوَةٌ فَقُلْتُ: وَاللهِ لا أَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي هَذَا أَبَدًا وَلا أُكَذِّبُ نَفْسِي. قَالَ: وَنَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ قَالَ: فَجَعَلْتُ أَخْرُجُ إِلَىٰ السُّوقِ فَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَتَنكَّرَ لَنَا النَّاسُ حَتَّىٰ مَا هُمْ بِالَّذِينَ نَعْرِفُ وَتَنكَّرَتْ لَنَا الْحِيطَانُ حَتَّىٰ مَا هِيَ بِالْحِيطَانِ الَّتِي نَعْرِفُ وَتَنكَّرَتْ لَنَا الأَرْضُ حَتَّىٰ مَا هِيَ بِالأَرْضِ الَّتِي نَعْرِفُ وَكُنْتُ أَقْوَىٰ أَصْحَابِي فَكُنْتُ أَخْرُجُ وَأَطُوفُ فِي السُّوقِ وَآتِي الْمَسْجِدَ فَأَدْخُلُ وَآتِي النَّبِيَّ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَأَقُولُ: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِالسَّلامِ؟ إِذَا قُمْتُ أُصَلِّي إِلَىٰ السَّارِيَةِ فَأَقْبَلْتُ قَبْلَ صَلاتِي نَظَرَ إِلَيَّ بِمُؤَخِّرِ عَيْنَيْهِ وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ أَعْرَضَ عَنِّي. قَالَ: وَاسْتَكَانَ صَاحِبَايَ فَجَعَلا يَبْكِيَانِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَلا يُطْلِعَانِ رؤوسهما. فَبَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ فِي السُّوقِ إِذَا رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ جَاءَ بِطَعَامٍ لَهُ يَبِيعُهُ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ فَأَتَانِي بِصَحِيفَةٍ مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهَا: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنْ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَأَقْصَاكَ وَلَسْتَ بِدَارِ مَضْيَعَةٍ وَلا هَوَانٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاءِ وَالشَّرِّ فَأَسْجَرْتُ لَهَا التَّنُّورَ وَأَحْرَقْتُهَا. فَلَمَّا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً إِذَا رَسُولٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَتَانِي فَقَالَ: "اعْتَزِلِ امْرَأَتَكَ" فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ قَالَ: "لا وَلَكِنْ لا تَقْرَبْهَا". وَأَرْسَلَ إِلَىٰ صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ. إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ فَهَلْ تَأْذَنَ لِي أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: "نَعَمْ وَلَكِنْ لا يَقْرَبَنَّكِ" قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ. وَاللهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ لِشَيْءٍ مَا زَالَ مُكْتَئِبًا يَبْكِي اللَّيْلَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالنَّهَارَ مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا طَالَ عَلَيَّ الْبَلاءُ اقْتَحَمْتُ عَلَىٰ أَبِي قَتَادَةَ حَائِطَهُ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ. أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ ثُمَّ قُلْتُ أَيْضًا يَا أَبَا قَتَادَةَ. أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ ثُمَّ قُلْتُ: أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا قَتَادَةَ. أَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي أَنْ بَكَيْتُ ثُمَّ اقْتَحَمْتُ الْحَائِطَ خَارِجًا.

حَتَّىٰ إِذَا مَضَتْ خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ عَنْ كَلامِنَا صَلَّيْتُ عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ لَنَا صَلاةَ الْفَجْرِ ثُمَّ جَلَسْتُ وَأَنَا فِي الْمَنْزِلَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ إِذْ سَمِعْتُ نِدَاءً مِنْ ذُرْوَةِ سَلْعٍ: أَبْشِرْ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ. فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ جَاءَ بِالْفَرَجِ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ يَرْكُضُ عَلَىٰ فَرَسٍ يُبَشِّرُنِي فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنْ فَرَسِهِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ أَعْطَيْتُهُ ثَوْبِي بِشَارَةً وَلَبِسْتُ ثَوْبَيْنِ آخَرَيْنِ قَالَ: وَكَانَتْ تَوْبَتُنَا نَزَلَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ثُلُثَ اللَّيْلِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ. أَلا نُبَشِّرُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ؟ قَالَ: "إِذًا يَحْطِمَكُمُ النَّاسُ وَيَمْنَعُونَكُمُ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ". قَالَ: وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي تَحْزَنُ بِأَمْرِي فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ الْمُسْلِمُونَ وَهُوَ يَسْتَنِيرُ كَاسْتِنَارَةِ الْقَمَرِ وَكَانَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ فَجِئْتُ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: "أَبْشِرْ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ" قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ أَمِنْ عِنْدِ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِكَ؟ قَالَ: "بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ" ثُمَّ تَلا عَلَيْهِمْ {لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} حَتَّىٰ بَلَغَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

{التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (التوبة: ١١٧ – ١١٨).

قَالَ: وَفِينَا نزلت: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة:١١٩].

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ. إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَدِّثَ إِلا صِدْقًا وَأَنْ أَتَخَلَّعَ مِنْ مَالِي كُلِّهِ صَدَقَةً إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ فَقَالَ: "أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ" فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ قَالَ: فَمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ نِعْمَةً بَعْدَ الإِسْلامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ صَدَقْتُهُ أَنَا وَصَاحِبَايَ أَنْ لا نَكُونَ كَذَبْنَاهُ فَهَلَكْنَا كَمَا هَلَكُوا وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا يَكُونَ ابْتَلَىٰ اللهُ أَحَدًا فِي الصِّدْقِ مِثْلَ الَّذِي ابْتَلانِي مَا تَعَمَّدْتُ لِكَذْبَةٍ بَعْدُ وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ فِيمَا بَقِيَ"(١).

موقف أبي مسعود البدري ﷺ: قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ ﷺ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي، "اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ"، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: "اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ"، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: "اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَىٰ هَذَا الْغُلَامِ"، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا".

وفي رواية عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: "اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ"، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ

(١) البخاري (٢٧٥٧ مسلم(٢٧٦٩) أبو داود (٢٠٢٢الترمذي (٣١٠٢) ابن ماجة(١٣٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: "أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ"، أَوْ "لَمَسَّتْكَ النَّارُ"(١).

موقف ابي بكر الصديق رضي الله عنه: عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَىٰ عَلَىٰ سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ" فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي(٢).

موقف ماعز بن مالك رضي الله عنه: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي.

فَقَالَ: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَيْحَكَ، ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، طَهِّرْنِي.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟، فَقَالَ: مِنَ الزِّنَىٰ.

---

(١)صحيح مسلم (١٦٥٩).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٠٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَبِهِ جُنُونٌ؟ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ:أَشَرِبَ خَمْرًا؟فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَزَنَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.

فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ.

قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ:اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ"(١).

موقف الغامدية ـ رضي الله عنها: جاءَتِ غَامِدِيَّةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَىٰ، قَالَ: "إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّىٰ تَلِدِي"، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: "اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّىٰ تَفْطِمِيهِ"، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَىٰ صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَىٰ رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَىٰ وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا،

(١) صحيح مسلم (١٦٩٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقَالَ: "مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ"، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ.

وفي رواية عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنَىٰ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: "أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا"، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللهِ وَقَدْ زَنَتْ؟ فَقَالَ: "لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَىٰ؟"[1].

موقف ابن الأعرابي الذي اعترف على نفسه بالزنا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ أَنَّهُمَا قَالَا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْشُدُكَ اللهَ إِلَّا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللهِ، فَقَالَ الْخَصْمُ الْآخَرُ: وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ نَعَمْ، فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ وَأْذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "قُلْ"، قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَىٰ هَذَا، فَزَنَىٰ بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَىٰ ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَىٰ ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَىٰ امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَىٰ ابْنِكَ

(١) صحيح مسلم (١٦٩٥، ١٦٩٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَىٰ امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا"، قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَتْ(١).

موقف رجل لم يذكر اسمه: عن أبي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ قَالَ: أَبُو أُمَامَةَ: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ، وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَىٰ الرَّجُلِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟" قَالَ: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا" فَقَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ – أَوْ قَالَ: ذَنْبَكَ"(٢).

موقف أبي محجنﷺ: عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " أُتِيَ سَعْدٌ بِأَبِي مِحْجَنٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَأَمَرَ بِهِ إِلَىٰ الْقَيْدِ، وَكَانَتْ بِسَعْدٍ جِرَاحَةٌ فَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَئِذٍ إِلَىٰ النَّاسِ قَالَ: وَصَعِدُوا بِهِ فَوْقَ الْعُذَيْبِ لَيَنْظُرَ إِلَىٰ النَّاسِ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَىٰ الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ عُرْفُطَةَ، فَلَمَّا الْتَقَىٰ النَّاسُ، قَالَ أَبُو مِحْجَنٍ:

---

(١) صحيح مسلم (١٦٩٧).والعسيف هو الأجير.

(٢)صحيح مسلم(٢٧٦٥).والمراد بالحد هنا المعصية التي توجب التعزيروهي هنا من الصغائر لأنها كفرتها الصلاة ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له لم تسقط بالصلاة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كَفَـــىٰ حَزَنًـــا أَنْ تُطْـــرَدَ الْخَيْـــلُ بِالْقَنَـــا وَأُتْـــرَكَ مَشْـــدُودًا عَلَـــيَّ وِثَاقِيَـــا

فَقَالَ لِابْنَةِ حَصْفَةَ امْرَأَةِ سَعْدٍ: أَطْلِقِينِي وَلَكِ اللهُ عَلَيَّ إِنْ سَلَّمَنِي اللهُ أَنْ أَرْجِعَ حَتَّىٰ أَضَعَ رِجْلِي فِي الْقَيْدِ، وَإِنْ قُتِلْتُ اسْتَرَحْتُمْ مِنِّي، قَالَ: فَحَلَّتْهُ - حِينَ الْتَقَىٰ النَّاسُ، فَوَثَبَ عَلَىٰ فَرَسٍ لِسَعْدٍ يُقَالُ لَهَا الْبَلْقَاءُ، ثُمَّ أَخَذَ رُمْحًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَجَعَلَ لَا يَحْمِلُ عَلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنَ الْعَدُوِّ إِلَّا هَزَمَهُمْ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا مَلَكٌ لِمَا يَرَوْنَهُ يَصْنَعُ، وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ: "الضَّبْرُ[أي: الركض] ضَبْرُ الْبَلْقَاءِ، وَالطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مِحْجَنٍ، وَأَبُو مِحْجَنٍ فِي الْقَيْدِ"..

فَلَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ، رَجَعَ أَبُو مِحْجَنٍ حَتَّىٰ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْقَيْدِ، وَأَخْبَرَتِ ابْنَةُ حَصْفَةَ سَعْدًا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ.

فَقَالَ سَعْدٌ: " لَا وَاللهِ لَا أَضْرِبُ بَعْدَ الْيَوْمِ رَجُلًا، أَبْلَىٰ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مَا أَبْلَاهُمْ "،فَخَلَّىٰ سَبِيلَهُ.

فَقَالَ أَبُو مِحْجَنٍ: قَدْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا إِذْ يُقَامُ عَلَيَّ الْحَدُّ، وَأَطْهُرُ مِنْهَا، فَأَمَّا إِذَا بَهْرَجْتَنِي، فَلَا وَاللهِ لَا أَشْرَبُهَا أَبَدًا "[1].

موقف الأنصار ﷺ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ ﷺ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، حِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ المِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، يُعْطِي

(١) المصنف (٣٣٧٤٦). وهذا إسناد صحيح متصل، رجاله كلهم ثقات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قُرَيْشًا وَيَدَعُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسٌ: فَحُدِّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "مَا كَانَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ". قَالَ لَهُ فُقَهَاؤُهُمْ: أَمَّا ذَوُو آرَائِنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُ الأَنْصَارَ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُوا إِلَىٰ رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَاللهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ"، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ رَضِينَا، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَىٰ الحَوْضِ"(١).

وعند مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَىٰ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا، فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ، فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي؟" وَيَقُولُونَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: "أَلَا تُجِيبُونِي؟" فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: "أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا» لِأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا، زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا، فَقَالَ: "أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ

(١) صحيح البخاري(٣١٤٧)، مسند الإمام أحمد(١٢٦٩٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ"(١).

توبة مغتصب: عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الكِنْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ امْرَأَةً خَرَجَتْ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَتَلَقَّاهَا رَجُلٌ فَتَجَلَّلَهَا، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ مِنْهَا، فَصَاحَتْ، فَانْطَلَقَ، وَمَرَّ عَلَيْهَا رَجُلٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ فَعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا، وَمَرَّتْ بِعِصَابَةٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ، فَقَالَتْ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ فَعَلَ بِي كَذَا وَكَذَا، فَانْطَلَقُوا، فَأَخَذُوا الرَّجُلَ الَّذِي ظَنَّتْ أَنَّهُ وَقَعَ عَلَيْهَا وَأَتَوْهَا، فَقَالَتْ: نَعَمْ هُوَ هَذَا، فَأَتَوْا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَمَرَ بِهِ لِيُرْجَمَ قَامَ صَاحِبُهَا الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا صَاحِبُهَا، فَقَالَ لَهَا: «اذْهَبِي فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكِ»، وَقَالَ لِلرَّجُلِ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهَا: «ارْجُمُوهُ»، وَقَالَ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا أَهْلُ المَدِينَةِ لَقُبِلَ مِنْهُمْ»(٢).

موقف رجل لم يذكر اسمه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فَأَنَا هَذَا، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ

---

(١)صحيح مسلم(١٠٦١).

(٢) سنن الترمذي(١٤٥٤). قال الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ} (هود: ١١٤) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً؟ قَالَ: "بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً"(١).

التوبة عند الصالحين

توبة عاصي في جوف الليل وموته لسماع آية من القرآن فيها ذكر النار

ذكر النار: روي عن منصور بن عمار قال: حججت حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت في ليلة مظلمة فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي. وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ولكن خطيئة عرضت لي أعانني عليها شقائي وغرني سترك المرخي علي وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي ولك الحجة علي فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك مني؟ واشباباه. واشباباه.

قال: فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله: ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [سورة التحريم:٦].

فسمعت حركة شديدة ثم لم أسمع بعدها حسا فمضيت.

فلما كان من الغد رجعت في مدرجتي إذا بجنازة قد وضعت وإذا بعجوز

(١) مسلم (٢٧٦٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كبيرة فسألتها عن أمر الميت ولم تكن عرفتني فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه. مر بابني البارحة وهو قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله فلما سمعها ابني تفطرت مرارته فوقع ميتا(١).

توبة داود الطائي ـ رحمه الله: رويَّ عن الحماني قال: كان بدء توبة داود الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر وهي تقول:

مقـــيم إلـــىٰ أن يبعـــث الله خلقـــه ... لقـــاؤك لا يرجـــىٰ وأنـــت قريـــب

تزيـــد بلـــىٰ في كـــل يـــوم وليلـــة ... وتســـلىٰ كمـــا تبلـــىٰ وأنـــت حبيـــب(٢).

توبة بشر بن الحارث الحافي ـ رحمه الله: حُكي عن بشر بن الحارث أنه سُئل: ما كان بدء أمرك لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي؟. قال: هذا من فضل الله وما أقول لكم؟ كنت رجلا عيارا صاحب عصبية فجزت يوما فإذا أنا بقرطاس في الطريق فرفعته فإذا فيه: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فمسحته وجعلته في جيبي. وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما فذهبت إلىٰ العطارين فاشتريت بهما غالية ومسحته في القرطاس. فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلا يقول: يا بشر. رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة. ثم كان ما

(١) التوابين لابن قدامة ص:١٧٢.

(٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري رقم(٥٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان.

وحُكي أن بشرا كان في زمن لهوه في داره وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون فاجتاز بهم رجل من الصالحين فدق الباب فخرجت إليه جارية فقال: صاحب هذه الدار حر أو عبد؟ فقالت: بل حر. فقال: صدقت لو كان عبدا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب(١).

توبة القعنبي ـ رحمه الله: كان شابًّا ضائعًا يشرب النبيذ ويَقضي ليله ونهاره يصحَب الأحداث والأغمار من الصبيان والشباب، يأكلون ويشربون ويمرَحون بلا غاية تجمعهم أو هدف يُشجِّعهم، كان القعنبي يقعد كلَّ يومٍ علىٰ باب بيته ينتظر قدوم أصحابه فيتَّفقون فيما بينهم علىٰ ما يفعلون في يومهم، وهو هو ما يجتمعون ويخرجون لأجله كل يوم، لا غاية ولا هدف إلا قضاء الفراغ وتمرير الوقت.

وفي يوم من هذه الأيام قعد ينتظرهم علىٰ باب البيت فمرَّ موكب عظيم من أمامه جذَب نظرَه، كأنما تخيَّله موكب الخليفة أو موكب الأمير، فقام يستكشف الحدث ويتعرَّف علىٰ ما غاب عنه من أمرِه، كان صاحب الموكب يَمتطي حماره يسرع به إسراعًا، والناس خلفه يُهرَعون، وحين نظر إليه القعنبي لم يَعرفه، إذ لم يكن الخليفة ولا الأمير، وإنما كان واحدًا غيرهما ربما لم يعهد هو رؤيته، ولم يعرف - في الحقيقة - أن الواقف أمامه كان نجمًا من نجوم ذلك الزمان، فقد كان

(١) التوابين ص:١٢٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عالمًا من علماء الحديث الكبار الذين يَجتمع الناس حولهم ويحفُّون بموكبهم ربما أكثر من الخليفة والأمير معًا، حتىٰ قال بعض خدم الخليفة يومًا وقد رأىٰ أحد مواكب العلماء هذه واطَّلع عليها: "هذا الملك لا ملك الخليفة".

تقدَّم الشابُّ ناحية الموكب وتطلَّع في الوجه الغريب عنه وسأل من حوله: من هذا؟

فأجابه بعض من سمعه وقال: "هذا شُعبة"، إذًا هو علَم لا يُنسب؛ إذ اكتفىٰ صاحب الإجابة باسمِه فقط، كشأن سائر الأعلام والنجوم الهاديات، لكن الشابَّ الغائب بعقله في غمرة السكر، الذاهبة حياته في خلَّة ضائعة وأيام مضيَّعة قال: "وأيُّ شيء شعبة"؟ كلمة تنمُّ عن كبْرٍ وتعالٍ وهزء وسخرية، وأنه لا يَعبأ بشيء مما يحدث حوله، هكذا: "وأيُّ شيء شعبة؟

وعاد بعض من حوله يجيبونه باقتضاب يُنبئ عن عجب منه، هل فعلاً لا يدري من هو شُعبة؟. قائلين: "محدِّث" في كلمة واحدة، تشعر أنَّهم كانوا في شغل عن استطراد وحوار، وشعر الشابُّ بهذا فانقطع عن الأسئلة والاستفسارات، لكنَّه قرر أن يكمل الحوار مع الشخص الذي ألهب هذه المشاعر فتبعتْه قلوبها وعيونها وتابعته الآذان والأقلام تسمع وتكتب ما ينطق به، فقام إلىٰ شعبة نفسه وواجهه قائلاً له:

"حدثني". ونظر شعبة فرأىٰ شابًّا يرتدي ثوبًا أحمر ويسأله الزئبق الأحمر. فقال له علىٰ الفَور: "ما أنت من أصحاب الحديث فأحدِّثك"، وسمع الشاب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الضائع الكلمة فإذا هي تقرَعه برفض طلبه، وما تعوَّد أبدًا علىٰ ذلك، فشهر سكِّينه في وجه شُعبة يهدِّده ويتوعَّده إن لم يحدِّثه ليفعلنَّ به ما تفعل هذه السكِّين في جسد من سلِّطت عليه، وقال: "أتحدِّثني أو أجرحك"؟. ومَن مثل شعبة ذكاءً وفطنة. فتخيَّر بفراسته من بضاعته ما يُجيب به تهديد الفتىٰ لعله يرتدع، فقال له: حدَّثَنا منصور عن ربعيٍّ عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت"(١).

وأصاب سهمُ شعبة مرماه، فإذا الكلماتُ تصعق الشابَّ وتهزُّه حتىٰ إنَّه رمىٰ سكِّينه من يده، وعزم علىٰ الإقلاع عن ذنبه ومفارقة المعصية، فرجع إلىٰ بيته وطهَّره مما كان فيه، فقام إلىٰ جميع ما كان عنده من الشراب فأراقه، وكسر آنية النبيذ وآلات اللهو، وودَّع رفاق السوء والهوىٰ، وكأنَّما أراد أن يترك رسالة إلىٰ رفاقه بما آل إليه حاله لعلَّهم به يتأسَّون وفي مستقبل زمانهم يرشدون، ولم يشأ أن يلقَاهم أو يقابلهم لئلا يثنوه عن عزمه أو يضعف هو برؤيتهم فيحنَّ إلىٰ صحبتهم فقال لأمِّه: الساعة أصحابي يَجيئون فأدخليهم وقدِّمي الطعام إليهم، فإذا أكلوا فخبِّريهم بما صنعت بالشراب حتىٰ ينصرفوا، ومضىٰ من وقته إلىٰ مدينة رسول الله ﷺ يَطلب العلم والهدىٰ، وهناك لزم مالكَ بنَ أنس فأثر عنه شيئًا كثيرًا حتىٰ كان أعظم رواة الموطَّأ.

توبة الفضيل بن عياض ـ رحمه الله: كَانَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ شَاطِراً

(١)صحيح البخاري (٥٧٦٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَقْطَعُ الطَّرِيْقَ بَيْنَ أَبِيْوَرْدَ وَسَرْخَس، وَكَانَ سَبَبُ تَوْبَتِهِ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً، فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَقِي الجُدْرَانَ إِلَيْهَا، إِذْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُهُم، } [الحَدِيْدُ: ١٦]. فَلَمَّا سَمِعَهَا، قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَدْ آنَ.

فَرَجَعَ، فَآوَاهُ اللَّيْلُ إِلَىٰ خَرِبَةٍ، فَإِذَا فِيْهَا سَابِلَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُم: نَرحَلُ.

وَقَالَ بَعْضُهُم: حَتَّىٰ نُصْبِحَ، فَإِنَّ فُضَيْلاً عَلَىٰ الطَّرِيْقِ يَقْطَعُ عَلَيْنَا.

قَالَ: فَفَكَّرْتُ، وَقُلْتُ: أَنَا أَسْعَىٰ بِاللَّيْلِ فِي المَعَاصِي، وَقَوْمٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ هَا هُنَا يَخَافُونِي، وَمَا أَرَىٰ اللهَ سَاقَنِي إِلَيْهِم إِلَّا لأَرْتَدِعَ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ قَدْ تُبْتُ إِلَيْكَ، وَجَعَلْتُ تَوْبَتِي مُجَاوَرَةَ البَيْتِ الحَرَامِ[1].

توبة إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله: كَانَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ أَدْهَمَ مِنَ الأَشْرَافِ، وَكَانَ أَبُوْهُ كَثِيْرَ المَالِ وَالخَدَمِ، وَالمَرَاكِبِ وَالجنَائِبِ وَالبُزَاةِ ، فَبَيْنَا إِبْرَاهِيْمُ فِي الصَّيْدِ عَلَىٰ فَرَسِه يُرْكِضُه، إِذَا هُوَ بِصَوْتٍ مِنْ فَوْقِه: يَا إِبْرَاهِيْمُ. مَا هَذَا العَبَثُ؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون:١١٥]، اتَّقِ اللهَ، عَلَيْكَ بِالزَّادِ لِيَوْمِ الفَاقَةِ.

فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِه، وَرَفَضَ الدُّنْيَا.

وَفِي رِسَالَةِالقُشَيْرِيِّ، قَالَ: هُوَ مِنْ كُوْرَةِ بَلْخٍ، مِنْ أَبْنَاءِ المُلُوْكِ، أَثَارَ ثَعْلَبًا أَوْ أَرْنَبًا، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: أَلِهَذَا خُلِقتَ؟ أَمْ بِهَذَا أُمِرتَ؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٢٣/٨. مؤسسة الرسالة،الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَنَزَلَ، وَصَادفَ رَاعِيًا لأَبِيْهِ، فَأَخَذَ عَبَاءتَه، وَأَعْطَاهُ فَرَسَه، وَمَا مَعَهُ، وَدَخَلَ البَادِيَةَ، وَصَحِبَ الثَّوْرِيَّ ، وَالفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ، وَدَخَلَ الشَّامَ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنَ الحَصَادِ وَحِفْظِ البَسَاتِيْنِ[1].

(١) المرجع السابق ٣٨٨/٧. ٣٨٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دموع التائبين في زماننا

توبة شاب من سماع الأغاني: طفل صغير لم يتجاوز سن البلوغ كان سبباً في هداية أخيه من سماع الغناء المحرم. عرف ذلك الطفل حكم الإسلام في الغناء وتحريمه له فانشغل عنه بقراءة القرآن الكريم وحفظه، ولكن لابدّ من الابتلاء. ففي يوم من الأيام خرج مع أخيه الأكبر في السيارة في طريق طويل وأخوه هذا كان مفتوناً بسماع الغناء فهو لا يرتاح إلا إذا سمعه وفي السيارة قام بفتح المسجل علىٰ أغنية من الأغاني التي كان يحبها. فأخذ يهز رأسه طرباً ويردد كلماته مسروراً.

لم يتحمل ذلك الطفل الصغير هذه الحال وتذكر قول الرسول ﷺ "من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

فعزم علىٰ الإنكار وهو لا يملك هنا إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه فأنكر بلسانه وقال مخاطباً أخاه: لو سمحت أغلق المسجل فإن الغناء حرام وأنا لا أريد أن أسمعه فضحك أخوه الأكبر ورفض أن يجيبه إلىٰ طلبه ومضت فترة وأعاد ذلك الطفل الطلب وفي هذه المرة قوبل بالاستهزاء والسخرية فقد اتهمه أخوه بالتزمت والتشدد،وحذره من الوسوسة، وهدده بأن ينزله في الطريق ويتركه وحده، وهنا سكت الطفل علىٰ مضض ولم يعد أمامه إلا أن ينكر بقلبه ولكن كيف ينكر بقلبه إنه لا يستطيع أن يفارق ذلك المكان فجاء التعبير عن ذلك بعبرة ثم دمعة نزلت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علىٰ خده الصغير الطاهر كانت أبلغ موعظة لذلك الأخ المعاند من كل كلام يقال فقد التفت إلىٰ أخيه- ذلك الطفل الصغير- فرأىٰ الدمعة تسيل علىٰ خده فاستيقظ من غفلته وبكىٰ متأثراً بما رأىٰ ثم أخرج الشريط من مسجل السيارة ورمىٰ به بعيداً معلنـًا بذلك توبته من استماع تلك التُّرهات الباطل.

توبة عاق لأمه: شابّ ذهب إلىٰ الخارجتعلم وحصل علىٰ شهادات عالية ثم رجع إلىٰ البلادتزوج من فتاة غنية جميلة كانت سببـًا في تعاسته لولا عناية الله.

مات والده وهو صغير فأشرفتْ أمه علىٰ رعايته،عَمِلَتْ خادمة في البيوت حتىٰ تستطيع أن تصرف عليه، فقد كانوحيدها أدخلته المدرسة وتعلم حتىٰ أنهيالدراسة الجامعية كانبارّاً بها وجاءت بعثته إلىٰ الخارج فودّعته أمه والدموع تملأ عينيها وهي تقول له: انتبه يا ولدي علىٰ نفسك ولا تقطعني من أخبارك... أرسل لي رسائل حتىٰ أطمئن علىٰ صحتك.

أكمل تعليمه بعد مضي زمن طويل ورجعشخصـًا آخر قد أثّرتْ فيه الحضارة الغربية كان يريفي الدين تخلفـًا ورجعية وأصبحلا يؤمن إلا بالحياة المادية -والعياذ بالله-.

وتحصل علىٰ وظيفة عالية وبدأيبحث عن الزوجة حتىٰ حصل عليها وكانت والدته قد اختارت له فتاة متدينة محافظة ولكنه أبيإلا تلك الفتاة الغنية الجميلة لأنه كان يحلم بالحياة (الأرستقراطية) (كما يقولون) وخلال ستة أشهر من زواجه كانتْ زوجته تكيد لأمه حتىٰ كره والدته وفي يوم من الأيام دخلالبيت وإذا بزوجته

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تبكي فسألها عن السبب فقالت له: شوف يا أنا يا أمك في هذا البيتلا أستطيع أن أصبر عليها أكثر من ذلك.

جنّ جنونه وطرد أمه من البيت في لحظة غضب فَخَرجَتْ وهي تبكي وتقول: أسعدك الله يا ولدي.

وبعد ذلك بساعات خَرج يبحث عنها ولكن بلا فائدة رجع إلىٰ البيت واستطاعت زوجته بمكرها أن تنسيهتلك الأم الغالية الفاضلة.

انقطعت أخبار أمه عنه فترة من الزمن أُصِيب خلالها بمرض خبيث دخلعلىٰ إثره المستشفىٰ وعَلِمتْ أمه بالخبر فجاءت تزوره، وكانت زوجته عنده وقبل أن تدخل عليه طردتْها زوجته وقالت لها: ابنك ليس هنا ماذا تريدين منا؟ اذهبي عنا رجعت أمه من حيث أتت.

وخرج من المستشفىٰ بعد وقت طويل انتكستفيه حالته النفسية وفقدالوظيفة والبيت وتراكمت عليه الديون وكل ذلك بسبب زوجته فقد كانت ترهقه بطلباتها الكثيرة وفي آخر المطاف ردت زوجته الجميل وقالت: ما دمتَ قد فقدت وظيفتك ومالك ولم يعد لك مكان في المجتمع فإني أعلنها لك صريحة: أنا لا أريدك طلقني.

كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعتْ علىٰ رأسه،وطلقها بالفعل،فاستيقظ من السُّباتِ الذي كان فيه.

خرج يهيم علىٰ وجهه بحثا عن أمه وفي النهاية وجدها ولكن أين وجدها؟..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كانت تقيم في أحد الدور تأكل من صدقات المحسنين.

دخل عليها وجدها وقد أثر عليها البكاء فبدت شاحبةوما إن رآها حتىٰ ألقىٰ بنفسه عند رجليها وبكىٰ بكاءً مرّاً فما كان منها إلا أن شاركته البكاء.

بقيا علىٰ هذه الحالة حولي ساعة كاملة بعدها أخذها إلىٰ البيت وعزم أن يكون طائعاً لها وقبل ذلك يكون متبعاً لأوامر الله ومجتنباًلنواهيه.

توبة فتاة متبرجة: تقول هذه الفتاة: تسع بنات وخمس ذكور هم عدد أفراد أسرتي بالإضافة إلىٰ الوالدين كان همّ الوالدة الأكبر هو تزويج البنات التسع، وقد شاع في مجتمعنا الفاسد أنّ البنت لكي تجد عروساً لا بد أن تتعرىٰ باللبس القصير. وتتجمل بالماكياج. وتصفّف شعرها علىٰ أحدث خطوط الموضة.

عشنا الفساد بأكمله، تزيّنا، وخرجنا بأحدث زينتنا، وكنا فرائس لذئاب بشريّة، هذا بنظرة، وذاك بكلمة، وكل علىٰ شاكلته.

في ذلك الوقت، لم نكن نعرف من الإسلام سوىٰ الأركان الخمسة فقط، وليتنا عملنا بها، إلا أن ظاهرة بدأت تظهر بين الفتيات آنذاك، الواحدة تلو الأخرىٰ، إنها ظاهرة لبس الحجاب، كنت أرىٰ تلك الفتيات وأنا جدّ محتارة إلىٰ أن قررت إحدىٰ أخواتي الثمان لبسه فلبسته، في بادئ الأمر رحبّت به العائلة، ثم لم تمض أيام حتىٰ بدأت مضايقة الأم لها.

وذلك لما تسمعه من الجيران وخالاتي بأنّ من تتحجّب لن تتزوج.، وكلّهم يقول: إنها ربما ارتدت الحجاب لعاهة تريد إخفاءها.، فجنّ جنون أمّي، وبدأت في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مشاكستها بكلّ ما تملك، حتّىٰ أصبحت تناديها بـ (المسلمة). استهزاءً بها، حتّىٰ وصل الأمر إلىٰ الضرب في كثير من الأحيان.، أمّا أنا فأرجو الله المغفرة، فقد كنت من أجل أن أفوز برضىٰ أمّي أبالغ في التجمّل والتبرّج، فكانت تعيرها بي، وكنت دائمـًا محل تقدير وثناء.

ومرّت سنتان أو ثلاث وأنا علىٰ هذه الحال، وفي يوم خرجت مع بعض زميلاتي في نزهة، وفي الطريق مررنا بكنيسة، وبعد مشاورات قرّرنا الدخول، فوجدنا العديد من النصارىٰ يصلّون صلاتهم (هداهم الله جميعـًا).

خرجت وأنا أحسّ بشيء ما يعتلج في صدري، لم يعجبني حالي، وهالني تمسّكهم بدينهم المحرف، وخشوعهم في صلاتهم . أشياء عدّة لا أستطيع حتّىٰ التعبير عنها، وفي يومجمعة – وهذا اليوم لا أنساه أبداً – كنت منهمكة في غسل الأواني، فإذ بي أسمع حديثـًا كان يدور بين أخواتي، حيث ذكرت إحداهنّ أنّها رأت البارحة في منامها أن القيامة قد قامت، ثم بدأت تصف ما رأته من أهوال وشدائد، ارتجف قلبي بشدّة، تركت ما في يدي ودخلت عليهنّ الغرفة، وحلفت يمينـًا إن هي أعطتني حجابـًا أن ألبسه غداً، وأواظب علىٰ الصلاة ولا أتركها أبداً، والله شهيد علىٰ ما أقول، فأحضرت لي أختي حجابـًا، فعقدت العزم علىٰ لبسه وأنا علىٰ مائدة العشاء.

قلت لأبي: أودّ أن ألبس الحجاب غداً إن شاء الله.

صمت قليلاً، ثمّ قال: موافق، لكن بشرط.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلت: ما هو.

قال: ألّا تنزعيه أبداً.

فقلت: موافقة.

نظرت أمي إليّ نظرة طويلة ولم تقل شيئًا، لأن الكلمة الأولىٰ والأخيرة في البيت كانت لوالدي.

لم أنم تلك الليلة، لا أقول من شدة الفرح، وإنّما خوفًا من الغد، حامت حولي وساوس الشيطان، أسئلة كثيرة كانت تدور في مخيّلتي: لمَ تدفني نفسك بهذا الثوب، وأنت دائمًا تحبيّن الانطلاق، وتعشقين الجمال ، ثيابك، شعرك لم تخفين كلّ هذا ؟

نهضت باكراً، وارتديت الحجابكانت خطواتي متثاقلة، واحدة للأمام، والأخرىٰ للخلفالأولىٰ تقول ليتقدّمي والله معك، والثانية تقول: لمَ تفعلين هذا؟ وزينتك، وجمالك .

استعذت بالله من الشيطان، وخرجت الجميع جاؤوا يهنّؤنني علىٰ هذا القرارلن أنسىٰ أبداً ذلك اليوم، جلّ زميلاتي جئن في أحلىٰ لباس، وآخر موضة تسريحة شعر، فبقيت أنظر حائرة في أمري، لكن الله عز وجل لم يتركني، بل هيّأ لي مجموعة من الأخوات الصالحات انتشلنني من بحر الندم والضياع إلىٰ عالم لا حدود له، عالم آخر ملائكي، فاخضرّت الحياة في وجهي وأزهرت، ثم أنعم الله عليّ فحملت المصحف وحفظت ما تيسّر منه، ودخلت المسجد، فتحت الكتب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمامي في العقيدة والفقه والحديث والسيرة، وحتّىٰ الأناشيد الإسلامية كلام طيب علمت بتحريم الغناء، ومصافحة الأجنبيّ، وإظهار الزينة، فإذا الحلال بيّن، والحرام بيّن، وحتّىٰ الوالدة الكريمة بعد أن تحجّبت بناتها التسع، وبدأنا نُسمعها من كلام الله وكلام رسوله صلىٰ الله عليه سلم الشيء الكثير، تغيّرت كثيراً، وأصبحت الصدر الحنون لنا ولزميلاتنا في المسجد ولله الحمد والمنّة، أمّا موضوع الزواج، فقد كان الأمر علىٰ عكس ما كانت تعتقد، فقد تزوج سبع بنات من التسع من إخوة صالحين، وبقيت اثنتان، وهما علىٰ وشك الزوج إن شاء الله.

أمّا أنا فقد أخذت مكاني في المسجد عوضاً عن الشوارع والأسواق، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

توبة فتاة مصرية نصرانية: فتاة مصرية نصرانية، كتب الله لها الهداية واعتناق الدين الحق بعد رحلة طويل من الشكّ والمعاناة، تروي قصة هدايتها فتقول:

نشأت كأي فتاة نصرانية مصرية علىٰ التعصب للدين النصراني، وحرص والديَّ علىٰ اصطحابي معهما إلىٰ الكنيسة صباح كل يوم أحد لأقبّل يد القس، وأتلو خلفه التراتيل الكنسية، وأستمع إليه وهو يخاطب الجمع ملقناً إياهم عقيدة التثليث، ومؤكداً عليهم بأشد الأيمان أن غير المسيحيين مهما فعلوا من خير فهم مغضوب عليهم من الربّ، لأنهم -حسب زعمه- كفرة ملاحدة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كنت أستمع إلىٰ أقوال القس دون أن أستوعبها، شأني شأن غيري من الأطفال، وحينما أخرج من الكنيسة أهرع إلىٰ صديقتي المسلمة لألعب معها، فالطفولة لا تعرف الحقد الذي يزرعه القسيس في قلوب الناس.

كبرت قليلاً، ودخلت المدرسة، وبدأت بتكوين صداقات مع زميلاتي في مدرستي الكائنة بمحافظة السويس، وفي المدرسة بدأت عيناي تتفتحان علىٰ الخصال الطيبة التي تتحلّىٰ بها زميلاتي المسلمات، فهن يعاملني معاملة الأخت، ولا ينظرن إلىٰ اختلاف ديني عن دينهن، وقد فهمت فيما بعد أن القرآن الكريم حث علىٰ معاملة الكفار -غير المحاربين- معاملة طيب طمعًا في إسلامهم وإنقاذهم من الكفر، قال تعالىٰ: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المُقسطين}.

إحدىٰ زميلاتي المسلمات ربطتني بها علىٰ وجه الخصوص صداقة متينة، فكنت لا أفارقها إلا في حصص التربية الدينية، إذ كنت -كما جرىٰ النظام- أدرس مع طالبات المدرسة النصرانيات مبادئ الدين النصراني علىٰ يد معلمة نصرانية.

كنت أريد أن أسأل معلمتي كيف يمكن أن يكون المسلمون - حسب افتراضات المسيحيين- غير مؤمنين وهو علىٰ مثل هذا الخُلق الكريم وطيب المعشر؟. لكني أم أجرؤ علىٰ السؤال خشية إغضاب المعلمة حتىٰ تجرأت يومًا وسألت، فجاء سؤالي مفاجأةً للمعلمة التي حاولت كظم غيظها، وافتعلت ابتسامة صفراء رسمتها علىٰ شفيتها وخاطبتني قائلة: (إنك ما زلت صغيرة ولم تفهمي الدنيا بعد، فلا تجعلي هذه المظاهر البسيطة تخدعك عن حقيقة المسلمين كما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نعرفها نحن الكبار).

صمتُّ علىٰ مضض علىٰ الرغم من رفضي لإجابتها غير الموضوعية، وغير المنطقية.

وتنتقل أسرة أعز صديقاتي إلىٰ القاهرة، ويومها بكينا لألم الفراق، وتبادلنا الهدايا والتذكارات، ولم تجد صديقتي المسلمة هدية تعبر بها عن عمق وقوة صداقتها لي سوىٰ مصحف شريف في علبة قطيفة أنيقة صغيرة، قدمتها لي قائلة: (لقد فكرتُ في هدية غالية لأعطيك إياها ذكرىٰ صداقة وعمر عشنا سوياً فلم أجد هذا المصحف الشريف الذي يحتوي علىٰ كلام الله).

تقبّلت هدية صديقتي المسلمة شاكرة فرحة، وحرصت علىٰ إخفائها عن أعين أسرتي التي ما كانت لتقبل أن تحمل ابنتهم المصحف الشريف.

وبعد أن رَحَلَتْ صديقتي المسلمة، كنت كلما تناهىٰ إليّ صوت المؤذن، مناديًا للصلاة، وداعيًا المسلمين إلىٰ المساجد، أعمد إلىٰ إخراج هدية صديقتي وأقبلها وأنا أنظر حولي متوجسة أن يُفاجأني أحد أفراد الأسرة، فيحدث لي ما لا تُحمد عُقباه.

ومرت الأيام، وتزوجت من (شماس) كنيسة العذراء مريم، ومع متعلقاتي الشخصية، حملت هدية صديقتي المسلمة (المصحف الشريف)، وأخفيته بعيداً عن عني زوجي، الذي عشت معه كأي امرأة شرقية وفيّة ومخلصة وأنجبت منه ثلاثة أطفال.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتوظفت في ديوان عام المحافظة، وهناك التقيتُ بزميلات مسلمات متحجبات، ذكرني بصديقتي الأثيرة، وكنت كلما علا صوت الأذان من المسجد المجاور، يتملكني إحساس خفي يخفق له قلبي، دون أن أدري لذلك سببًا محدداً، إذ كنت لا أزال غير مسلمة، ومتزوجة من شخص ينتمي إلىٰ الكنيسة بوظيفة يقتات منها، ومن مالها يطعم أسرته.

وبمرور الوقت، وبمجاورة زميلات وجارات مسلمات علىٰ دين وخلق بدأت أفكر في حقيقة الإسلام والمسيحية، وأوازن بين ما أسمعه في الكنيسة عن الإسلام والمسلمين، وبين ما أراه وألمسه بنفسي، وهو ما يتناقض مع أقوال القس والمتعصبين النصارىٰ.

بدأت أحاول التعرف علىٰ حقيقة الإسلام، وأنتهز فرصة غياب زوجي لأستمع إلي أحاديث المشايخ عبر الإذاعة والتلفاز، علي أجد الجواب الشافي لما يعتمل في صدري من تساؤلات حيري، وجذبتني تلاوة الشيخ محمد رفعت، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد للقرآن الكريم، وأحسستُ وأنا أستمع إلىٰ تسجيلاتهم عبر المذياع أن ما يرتلانه لا يمكن أن يكون كلام بشر، بل هو وحي إلهي.

وعمدتُ يومًا أثناء وجود زوجي في الكنيسة إلىٰ دولابي، وبيد مرتعشة أخرجتُ كنزي الغالية (المصحف الشريف)، فتحته وأنا مرتبكة، فوقعت عيناي علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران:٥٩] ارتعشت يدي أكثر، وتصبب وجهي عرقًا، وسرتْ في جسمي قشعريرة، وتعجبت لأني سبق أن استمعت إلىٰ القرآن كثيراً في الشارع والتلفاز والإذاعة، وعند صديقاتي المسلمات، لكني لم أشعر بمثل هذه القشعريرة التي شعرت بها وأنا أقرأمن المصحف الشريف مباشرةً بنفسي.

هممتً أن أواصل القراءة إلا أن صوت أزيز مفتاح زوجي وهو يفتح باب الشقة حال دون ذلك، فأسرعت وأخفيت والمصحف الشريف في مكانه الأمين، وهرعت لأستقبل زوجي.

وفي اليوم التالي لهذه الحادثة ذهبتُ إلىٰ عملي، وفي رأسي ألف سؤال حائر، إذ كانت الآية الكريمة التي قرأتها وضعتْ الحد الفاصل لما كان يؤرقني حول طبيعة عيسىٰ عليه السلام، أهو ابن الله كما يزعم القسيس -تعالىٰ الله عما يقولون- أم أنه نبي كريم كما يقول القرآن؟. فجاءت الآية لتقطع الشك باليقين، معلنة أن عيسىٰ، عليه السلام، من صلب آدم، فهو إذا ليس ابن الله، فالله سبحانه وتعالىٰ:﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص:٣-٤].

تساءلت في نفسي عن الحلّ وقد عرفت الحقيقة الخالدة، حقيقة أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، أيمكن أن أشهر إسلامي؟. وما موقف أهلي مني، بل ما موقف زوجي ومصير أبنائي؟.

طافت بي كل هذه التساؤلات وغيرها وأنا جالسة علىٰ مكتبي أحاول أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أؤدي عملي لكني لم أستطع، فالتفكير كاد يقتلني، واتخاذ الخطوة الأولىٰ أرىٰ أنها ستعرضني لأخطار جمة أقلّها قتلي بواسطة الأهل أو الزوج والكنيسة.

ولأسابيع ظللتُ مع نفسي بين دهشة زميلاتي اللاتي لم يصارحني بشيء، إذ تعودنني عاملة نشيطة، لكني من ذلك اليوم لم أعد أستطيع أن أنجز عملاً إلا بشق الأنفس.

وجاء اليوم الموعود، اليوم الذي تخلصتُ فيه من كل شك وخرف وانتقلت فيه من ظلام الكفر إلىٰ نور الإيمان فبينما كنتُ جالسة ساهمة الفكر، شاردة الذهن، أفكر فيما عقدتُّ العزم عليه، تناهىٰ إلىٰ سمعي صوت الأذان من المسجد القريب داعيًا المسلمين إلىٰ لقاء ربهم وأداء صلاة الظهر، تغلغل صوت الأذان داخل نفسي، فشعرت بالراحة النفسية التي أبحث عنها، وأحسست بضخامة ذنبي لبقائي علىٰ الكفر علىٰ الرغم من عظمة نداء الإيمان الذي كان يسري في كل جوانحي، فوقفتُ بلا مقدما لأهتف بصوت عالٍ بين ذهول زميلاتي: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله)، فأقبل عليّ زميلاتي وقد تحيرنَ من ذهولهن، مهنئات باكيات بكاء الفرح، وانخرطتُ أنا أيضا معهن في البكاء، سائلة الله أن يغفر لي ما مضىٰ من حياتي، وأن يرضىٰ عليّ في حياتي الجديدة.

كان طبيعيًا أن ينتشر خبر إسلامي في ديوان المحافظة، وأن يصل إلىٰ أسماع زملائي وزميلاتي النصارىٰ، اللواتي تكلفن - بين مشاعر سخطهن- بسرعة إيصاله إلىٰ أسرتي وزوجي، وبدأن يرددنَ عني مدّعين أن وراء القرار أسباب لا تخفىٰ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لم آبه لأقوالهن الحاقدة، فالأمر الأكثر أهمية عندي من تلك التخرصات: أن أشهر إسلامي بصورة رسمية، كي يصبح إسلامي علنـًا، وبالفعل توجهتُ إلىٰ مديرية الأمن حيث أنهيتُ الإجراءات اللازمة لإشهار إسلامي.

وعدتُ إلىٰ بيتي لأكتشف أن زوجي ما إن علم بالخبر حتىٰ جاء بأقاربه وأحرق جميع ملابسي، واستولىٰ علىٰ ما كان لديّ من مجوهرات ومال وأثاث، فلم يؤلمني ذلك، وإنما تألمت لخطف أطفالي من قَبَل زوجي ليتخذ منهم وسيلة للضغط عليّ للعودة إلىٰ ظلام الكفر، آلمني مصير أولادي، وخفتُ عليهم أن يتربوا بين جدران الكنائس علىٰ عقيدة التثليث، ويكون مصيرهم كأبيهم في سقر.

رفعتُ ما اعتمل في نفسي بالدعاء إلىٰ الله أن يعيد إليّ أبنائي لتربيتهم تربية إسلامية، فاستجاب الله دعائي، إذ تطوع عدد من المسلمين بإرشادي للحصول علىٰ حكم قضائي بحضانة الأطفال باعتبارهم مسلمين، فذهبت إلىٰ المحكمة ومعي شهادة إشهار إسلامي، فوقفت المحكمة مع الحق، فخيرتْ زوجي بين الدخول في الإسلام أو التفريق بينه وبيني، فقد أصبحتُ بدخولي في الإسلام لا أحلُّ لغير مسلم، فأبىٰ واستكبر أن يدخل في دين الحق، فحكمتِ المحكمة بالتفريق بيني وبينه، وقضتْ بحقي في حضانة أطفالي باعتبارهم مسلمين، لكونهم لم يبلغوا الحُلم، ومن ثم يلتحقون بالمسلم من الوالدين.

حسبت أن مشكلاتي قد انتهت عند هذا الحد، لكني فوجئت بمطاردة زوجي وأهلي أيضـًا، بالإشاعات والأقاويل بهدف تحطيم معنوياتي ونفسيتي، وقاطعتني

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأسر النصرانية إلي كنت أعرفها، وزادت علىٰ ذلك بأن سعت هذه الأسر إلىٰ بث الإشاعات حولي بهدف تلويث سمعتي، وتخويف الأسر المسلمة من مساعدتي لقطع صلتهن بي.

وبالرغم من كل المضايقات ظللتُ قوية متماسكة، مستمسكة بإيماني، رافضة كل المحاولات الرامية إلىٰ ردَّتي عن دين الحق، ورفعتُ يديّ بالدعاء إلىٰ مالك الأرض والسماء، أن يمنحني القوة لأصمد في وجه كل ما يشاع حولي، وأن يفرّج كربي.

فاستجاب الله دعائي وهو القريب المجيب، وجاءني الفرج من خلال أرملة مسلمة، فقيرة المال، غنية النفس، لها أربع بنات يتامىٰ وابن وحيد بعد وفاة زوجها، تأثرتْ هذه الأرملة المسلمة للظروف النفسية التي أحياها، وتملكها الإعجاب والإكبار لصمودي، فعرضتْ عليّ أن تزوجني بابنها الوحيد (محمد) لأعيش وأطفالي معها ومع بناتها الأربع، وبعد تفكير لم يدم طويلاً وافقتُ، وتزوجتُ محمداً ابن الأرملة المسلمة الطيبة.

وأنا الآن أعيش اليوم مع زوجي المسلم (محمد) وأولادي، وأهل الزوج في سعادة ورضا وراحة بال، علىٰ الرغم مما نعانيه من شظف العيش، وما نلاقيه من حقد زوجي السابق، ومعاملة أسرتي المسيحية.

ولا أزال بالرغم مما فَعَلَته عائلتي معي أدعو الله أن يهديهم إلىٰ دين الحق ويشملهم برحته مثلما هداني وشملني برحمته، وما ذلك عليه - سبحانه وتعالىٰ-

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعزيز.

شاب يتوب قبل موته بلحظات وهو يصلي: لقد استعبدت محمداً الخطيئة والنزوةفأصبح منقاداً لها، لا يملك نفسه، ولا يستطيع تحريرها؛ فحرفته إلىٰ حيث لا يملك لنفسه القياد؛ إلىٰ حيث الهلاك، فكان يسارع إلىٰ انتهاك اللذات، ومقارفة المنكرات؛ فوصل إلىٰ حال بلغ فيها الفزع منتهاه، والقلق أقصاه، يتبدىٰ ذلك واضحاً علىٰ قسمات وجهه ومحياه.

لم يركع لله ركعةً منذ زمن، ولم يعرف للمسجد طريقاً. كم من السنين مضت وهو لم يصلّ، يحس بالحرج والخجل إذا ما مرّ بجانب مسجد الحي الذي يقطنهويكأن مئذنة المسجد تخاطبه معاتبة: متىٰ تزورنا؟

جاء شهر رمضان حيث تصفد مردة الشياطين، صوت الحق يدوي في الآفاق، وصوت ينبعث من مئذنة المسجد وصوت حزين يرتل آيات الذكر الحكيمإنها الراحة إنها الصلاةصلاة التروايح.

وكالعادة؛ يمر محمد بجانب المسجد لا يلوي علىٰ شيء. أحد الشباب الطيبين يستوقفه، ويتحدث معه ثم يقول له: ما رأيك أن ندرك الصلاة؟ هيّا، هيّا بنا بسرعة.

أراد محمد الاعتذار لكن الشاب الطيب مضىٰ في حديثه مستعجلاً، كانت روح محمد تغدو كعصفور صغير ينتشي عند الصباح، أو بلله رقراق الندىٰ، روحه تريد أن تشق طريقها نحو النور بعد أن أضناها التجوال في أقبية الضلال.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال محمد: ولكن لا أعرف لا دعاء الاستفتاح ولا التحيات، منذ زمن لم اصلِّ، لقد نسيتها. كلا يا محمد لم تنسها؛ بل أنسيتها بفعل الشيطان وحزبه الخاسرينعم لقد أنسيتها.

وبعد إصرار من الشاب الطيب، يدلف محمد المسجد بعد فراق طويلفماذا يجد ؟ عيونـًا غسلتها الدموع، وأذبلتها العبادةوجوهـًا أنارتها التقويمصلين قد حلّقوا في أجواء الإيمان العبقة.

كانت قراءة الإمام حزينة مترسلة في صوته رعشة تهز القلوب، ولأول مرة بعد فراق يقارب السبع سنين، يحلق محمد في ذلك الجوبيد أنه لم يستطع إكمال الصلاة، امتلأ قلبه رهبةتراجع إلىٰ الخلف، استند إلىٰ سارية قريبة منه تنهد بحسرة مخاطبـًا نفسه: بالله كيف يفوتني هذا الأجر العظيم؟. أين أنا من هذه الطمأنينة وهذه الراحة؟. ثم انخرط في بكاء طويل و هو يبكيبكل قلبه، يبكي نفسه الضائعة، يبكي حيرته وتيهه في بيداء وقفار موحشة، يبكي أيامه الماضية، يبكي مبارزته الجبار بالأوزار.

كان قلبه تحترق فكأنما جمرة استقرت بين ضلوعه فلا تكاد تخبو إلا لتثور مرة أخرىٰ وتلتهب فتحرقهإنها حرقة المعاصيأنها حرقة الآثام.

لك الله أيها المذنب المنيب، كم تقلبت في لظىٰ العصيان، بينما روحك كانت تكتوي يظمأ الشوق إلىٰ سلوك طريق الإيمان.

كان يبكي -كما يقول الإمام- كبكاء الثكليلقد أخذتْه موجة ألمٍ وندمٍ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أرجفتْ عقله فطبعتْ في ذهنه أن الله لن يغفر له.

تحلّق الناس حولهسألوه عما دهاهفلم يشأ ان يجيبهمفقط كان يعيش تلك اللحظات مع نفسه الحزينةالمتعبة، التي أتعبها التخبط في سراديب الهلاك.

في داخله بركان ندمٍ وألمٍ، لم يستطع أحدٌ من المصلين إخماده، فانصرفوا لإكمال صلاتهم.

وهنا يأتي عبد الله، وبعد محاولات؛ جاء صوت محمد متهدجًا، ينم عن ثورة مكبوتة: لن يغفر الله لي لن يغفر الله ليثم عاد لبكائه الطويل،

أخذ عبد الله يهون عليه قائلا: يا أخي، إن الله غفور رحيم، إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

هنا يرفع محمد رأسه وعيناه مخضلتان بالدموع، ونبرات صوته أصداء عميقة قنوطًا من رحمة الله، قائلا: بشهقات كانت تتردد بين الفينة والأخرىٰ: كلا؛ لن يغفر الله لي.

ثم سكَتَ ليسترد أنفاسه؛ وليخرج من خزانة عمره ما حوت من أخبار. وعاد الصوت مرة أخرىٰ متحشرجًا يرمي بالأسئلة التائهة الباحثة عن فرار.كان صوته ينزف بالحزنوالوجع.

ثم أردف قائلا: أنت لا تتصور عظيم جرمي، وعظم الذنوب التي تراكمتْ علىٰ قلبيلالن يغفر الله لي، فأنا لم أصلِّ منذ سبع سنوات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويأبىٰ عبد الله إلا أن يقنع محمداً بسعة عفو الله ورحمته، فها هو يعاود نصحه قائلا: يا أخي، احمد الله أنك لم تمت علىٰ هذه الحال، يا أخي إن الله -سبحانه وتعالىٰ- يقول: (يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا؛ لأتيتك بقرابها مغفرة)، ثم إن قنوطك من رحمة الله عز وجل أعظم من عصيانك له، ثم أخذ يتلو عليه آيات الرحمة والرجاء، وأحاديث التوبة، وكرم الله وجوده في قبول التائبين، ولكأني به قد أيقظ في نفس محمد بارقة أمل، فيحس محمد أن باب التوبة فد انفرج عن فتحة ضيقة يستطيع الدخول فيها.

وهنا تكسرت أمواج قنوط محمد العاتية علىٰ شطآن نصائح عبد الله الغالية، فشعر بثقل هائل ينزاح عن كاهلهفيخف جناحه، وترفرف روحه، تريد التحليق في العالم الجديدفي عالم الأوبة والتوبة.

ها هو ذا صدره أرضًا بكراً يستقبل أول غرسة من النصائح المثمرة، تلك النصائح التي نشرت الأمان والطمأنينة والرجاء في نفس محمد كما ينشر المطر -بإذن الله- الاخضرار علىٰ وجه الصحاري المفقرة المجدبة.

وها هو ذا عبد الله يعرض عليه أمراً: ما رأيك يا أخي الكريم أن تذهب إلىٰ دورة المياه لتغتسل لتريح نفسك ولتبدأ حياة جديدة.

فما كان من محمد إلا أن وافق ناشداً الراحةوأخذ يغتسل، ويغسل من قلبه كل أدران الذنوب وقذارتها التي علقت به، لقد غسل قلبه هذه المرة، وملآه بمعان مادتها من نور.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسارا نحو المسجد، وما زال الإمام يتلو آيات الله.تتحرك بها شفتاه، وتهفو لها قلوب المصلين.

وأخذا يتحدثان. وصدرت الكلمات من شفتي عبد الله رصينة تفوح منها رائحة الصدق والحق والأمل، بريئة من كل بهتان.

وهز محمداً الحديث فكأنما عثر علىٰ كنز قد طال التنقيب عنه. ثم أخذ يحدث نفسه: أين أنا من هذا الطريق ؟ الحمد لله غص بها حلقه من جرّاء دموع قد تفجرت من عينيه.سار والدموع تنساب علىٰ وجنتيه، فحاول أن يرسم ابتسامة علىٰ شفتيه، بيد أنها ابتسامة مخنوقة قد امتقع لونها؛ فنسيت طريقها إلىٰ وجهه؛ فضاعت.

قال: عسىٰ الله أن يغفر لي -إن شاء الله-.

فبادره عبد الله: بل قل اللهم اغفر لي واعزم في المسألة يا رجل.

واتجها صوب المسجد، ونفس محمد تزداد تطلعاً وطمعاً في عفو الله ورضاه.

دخل المسجد ولسان حاله يقول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، يا إلهي قد قضيت حياتي في المنحدروها أنا ذا اليوم أحاول الصعود، فخذ بيدي يا رب العالمين.

يا أرحم الرحمين.إن ذنوبي كثيرة. ولكن رحمتك أوسع.

ودخل في الصلاة وما زال يبكي الذنوب القديمة،وخرج من قلب الأنقاض

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والغبار قلباً ناصعاً مضيئاً بالإيمان.

وأخذ يبكي وازداد بكاؤه، فأبكىٰ من حوله من المصلين توقف الإمام عن القراءة، ولم يتوقف محمد عن البكاء. قال الإمام: الله أكبر وركع، فركع المصلون وركع محمد.

ثم رفعوا جميعاً بعد قول الإمام: سمع الله لمن حمده. لكن الله أراد أن لا يرتفع محمد بجسده. بل ارتفعتْ روحه إلىٰ بارئها. فسقط جثة هامدة.

وبعد الصلاة حركوه، قلبوه، أسعفوه علهم أن يدركوه، ولكن﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سورة يونس:٤٩].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢
التوبة ٦
الفرق بين التوبة والاستغفار والإنابة والأوبة ٨
الاستغفار ٨
الإنابة ٨
الأوبة ٨
وقفة مع اسم الله التواب ٩
شروط التوبة ١١
فضائل التوبة ١٧
فوائد التوبة ٢٢
أسباب تعين على التوبة ٢٨
أولًا: استِشعار خطورة الذُّنوب، وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخِرة ٢٨
ثانيًا: الإخلاص لله تبارك وتعالى ٣٧
ثالثًا: مجاهدة النَّفس ٣٨
رابعًا: تذكُّر الموت ٣٩
خامسًا: الخوف من الله ٤١
سادسا: تَذكُّر النَّعيم المقيم يوم القيامة ٥١
سابعا:الحِرص على النَّوافل ٥٦
ثامنا: مُصاحبة الصَّالحين ٥٦
تاسعا: الدُّعاء والتضرُّع لله عزَّ وجلَّ ٥٨
عاشرا: الحياء من الله عز وجل ٦١
الحادي عشر: أن يعيش مع اسم الله الرقيب ٦٤
الثاني عشر: أن يعيش مع اسم الله الديان ٦٧
الثالث عشر: محبة الله . عز وجل ٧٠
الرابع عشر: مطالعة حياة الصالحين في الدنيا ٧٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخامس عشر: أن يعيش مع اسم الله الغفور والغفار ٧٨
السادس عشر: أن يعيش مع اسم الله الرحمن والرحيم ٨٠
علامات التوبة المقبولة ٨٢
الأسباب المانعة للتوبة ٨٧
تعظيم جانب الرجاء على الخوف من الله ٨٧
التسويف ٩١
استصغار الذنب ٩١
الجهل ٩٣
التعلل بالهداية ٩٤
قرناء السوء ٩٥
الاحتجاج بالقدر ٩٦
الانشغال بالدنيا ٩٧
آيات التوبة من القرآن الكريم ١٠١
الأحاديث الواردة في التوبة ١٠٦
أقوال السلف في التوبة الصادقة ١٠٩
التوبة عند الأمم السابقة ١١٢
التوبة عند الصحابة ـ رضي الله عنهم. ١١٤
التوبة عند الصالحين ١٣١
دموع التائبين في زماننا ١٣٨

تم بحمد الله

شبكة الألوكة - قسم الكتب